

رسالة الفتوى الجموع الكبرى

وبليها

الرسالة المدنية

في تحقيق

الجزاز والحقيقة في صفات الله تعالى

شيخ الاسلام ابن تيمية

٦٦١ - ٧٢٨ هـ

الطبعة السادسة

وقف على تصحيحها بقدر الامكان وتعليق حواشيها الراجي عفوه

محمد عبد الرزاق صمزه

المدرس بالمسجد الحرام - مكة المكرمة

طبع على نفقة

الشيخ محمد عمر عبد الهادي
مدير دار الحديث بمكة المكرمة

و

محمد عبد الحسن الكتيبي
صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

مطبعة الكسافي

٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة النشر

الحمد لله المنفرد بالكمال والجلال. المنزه عن سمات الحدوث والنقص والزوال والصلاة والسلام على عباده المصطفين الاخيار من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن اقتفى أثرهم ونهج منهجهم في سائر الاعصار .

(أما بعد) فان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، فباغ الرسالة رادى الامانة ؛ وجاهد في الله حق جهاده حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر دينه في الخفاقين وطبق للعمورة شرقا وغربا من حدود الصين إلى ساحل المحيط الأطلنطيقي (بحر الظلمات) وجنوبا وشمالا من جوف الهند إلى جبل القوقاز بسرعة فائقة لم يمهدها التاريخ قديما ولا حديثا حتى اعترف بعض الباحثين من علماء الافرنج أن ذلك من خوارق العادات ؛ فدخل في الاسلام شعوب مختلفة الألسنة والأفكار لهم حضارات وأديان وفلسفات من الفرس والروم والهند والصين فانتشرت الفلسفة الاشراقية من افلاطونية يونانية أو فارسية تحت ستار التصوف والروحانية ، وراجت الفلسفة المشائية الارسطية باسم الكلام والمنطق والحكمة والجدل والمناظرة .

فنشأ في الناس عقائد تباين الكتاب والسنة وتناقض ما جاء صريحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخيار تابعيهم فنارت أعاصير الخوارج الحرورية على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بالكوفة والعراق وكان من أمرهم معه ما كان مما هو معروف في التاريخ ونبت في مقابلتهم قرن التشيع ثم استفحل

(ب)

إلى رفض فقلو ثم كان الأراجاء والتجهم والاعتزال حلقات متصلة العرى في
البعث عن الهدى النبوي مما سترى الرد عليه في هذه الفتوى التي تقدم لها هذه
المقدمة فانبرى الأئمة أئمة السنة حماة الدين ناصر ومذهب السلف الصالح لبيان
ما جاء به دين الاسلام كما هو مقرر في كتابه المجيد (القرآن) وسنة نبيه الكريم
بالبينات النقلية والحجج العقلية وشهادات الفطرة السليمة التي لم تجتلبها الشياطين
عما فطرها الله عليه . قاموا بذلك على درجات متفاوتة ، ومشارب مختلفة ،
وأساليب متنوعة ، واستمر الأمر بين السنة والبدعة دولا والحرب بينهما سجالا
من المائة الثانية للهجرة إلى ما بعدها ، ترجح كفة السنة آنا وتبدي البدعة
صفحتها أحيانا ، والتاريخ يدون بين صفحاته معارك الفرسان وأيام الفريقيين ،
قال الحافظ شمس الدين الذهبي مؤرخ الاسلام في كتابه (طبقات الحفاظ) وهو
ملخص من تاريخه الكبير تاريخ الاسلام ؛ في آخر الطبقة الخامسة ص ٢٢٤
ج ١ « كان الاسلام وأهله في عز تام وعلم غزير ، وأعلام الجهاد منشورة والسنن
مشهورة ، والبدع مكبوتة والقوالون بالحق كثير ، والعباد متوارون والناس في
بلهنية من العيش بالأمن وكثرة الجيوش الحمديّة من أقصى المغرب وجزيرة
الأندلس إلى قريب مملكة الخطا ، وبعض الهند إلى الحيشة وخلفاء هذا الزمان
أبو جعفر المنصور وأين مثل أبي جعفر على ظلم فيه - في شجاعته وحزمه وكمال
عقله وفهمه ومشاركته في الأدب ووفور عقله ثم ابنه المهدي في سخائه وكثرة
محاسنه وتبعية لاستئصال الزنادقة » .

« وولده الرشيد هارون في جهاده وحججه وعظمة سلطانه - على اعمب وهو فيه -
ولكن كان معظما لحرمت الدين قوى المشاركة في العلم نبيل الرأي محبا للسنن وكان
في هذا الزمان من الصالحين مثل إبراهيم بن آدم وداود الطائي وسفيان الثوري »
ثم ذكر مشاهير النحاة والقراء والشعراء والفقهاء .

ثم قال : في آخر الطبقة السادسة ص ٣٠١ ج ١ « والدولة لهارون الرشيد والبرامكة ثم بعدهم اضطربت الأمور وضعف أمر الدولة بخلافة الأمين رحمه الله فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المئتين نجم التشيع وأبدى صفحته وبنزغ فجر الكلام وغربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان ونشأ للناس علم مرد مهلك لا يلائم على النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين وقد كانت الأمة في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله .

« إن من البلاء أن تعرف ما كنت تفكر وتفكر ما كنت تعرف، وتقدم عقول الفلاسفة وتعزل منقول اتباع الرسول وتمازى في القرآن وتقيم بالسنن والآثار وتقع في الخيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار، وإياك ومضلات الأعواء ومحارات العقول (ومن يمتصم بالله فقد هدى صراط مستقيم) انتهى ما ذكره الذهبي مما اردت نقله واستمر الحال إلى ذلك حتى القرن الثامن الهجري فمن الله تعالى على دينه بالخبر الامام خاتمة المحققين شيخ الحفاظ النقاد حكيم الفقهاء الجامعين لعلوم المعقول والمنقول شيخ الاسلام والمسلمين « تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية » الحرائى ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ نجاهد في نصر الإسلام بسيفه في وقائع التتار الشهيرة وبلسانه في مناظرات عديدة لأهل البدع وبقلمه بما كتب من طوال الكتب كنهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية وتوافق العقل والنقل في الرد على الجهمية ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح في الرد على النصارى ، وغير ذلك من بسائط الكتب وصغيرها في الرد على سائر الطوائف الضلال كما هو مبسوط في ترجمة هذا الإمام المجاهد الناصر لدين الله ترجمة في مطولات التواريخ ومختصراتها كتاريخ الاسلام للذهبي ، وطبقات الحفاظ له ، وتاريخ ابن الوردي الشافعي ، ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني وفوات الوفيات لابن

شاكر الكتبي والبدر الطالع للشوكاني ، والتاج المسكلك للنواب صديق حسن خان ،
 والرد الوافر للحافظ ابن ناصر الدين دمشقي والدرر البهية في ترجمة الشيخ ابن تيمية
 الحنبلي لصفي الدين البخاري الحنفي والعقود الدرية في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية
 للشيخ مرعي الحنبلي ومكتوبات الشيخ ولي الله الدهلوي ، وتاريخ علم الكلام
 لشبلي النعماني وجلاء العينين للسيد نعمان الأوسى وغير ذلك كثير ممن كتب في شيء
 من حياة هذا الإمام المعدوم النظير .

فن مؤلفات هذا الإمام هذه الرسالة المختصرة (الفتوى الحموية الكبرى)
 كتبها جوابا على سؤال جاءه من حماة فيما يجب الإيمان به من صفات الله
 كاستوائه على عرشه وعلو على خلقه ونحوها هل هي على ظاهرها أم لا بد من تأويلها
 فاجاب الشيخ ذلك الجواب الحار وكتبه بحروف من نار فأقام الجامدين على
 تقليد شيوخهم من أهل التأويل وأقدم وأرغام وأزبدم وجموا لذلك مجالس
 وعقدوا مناظرات كان الفوز فيها للحق والخذلان للباطل فلما ألجمهم الحق وأعوزتهم
 الحجة لجأ — شأن كل مخذول مهتوت — إلى السكيد للشيخ عند السلطان
 وأصقوا به تهمة الثورة والخروج والفوضى وكان لذلك ما كان مما هو مدون
 في صدور التاريخ —

كتب الشيخ هذا الجواب وبعثه شواظا من نار على هشيم التقليد والجود
 والابتداع والخيالات الفاسدة فهدى الله به من شاء من خلقه وقد كتبه الشيخ
 أولا فانتشر في الناس ثم أعاد نظره فزاد فيه زيادات أخرى مفيدة كالنقل عن ابن
 أبي زمنين المالكي ونقل كلام عمرو بن عثمان المسكي الصوفي وكلام ابن خفيف
 الشيرازي الشافعي الصوفي وغيرهم وانتشر في الناس كذلك فصارت الحموية
 بأيدي الناس صغرى وكبرى نبه على ذلك الحافظ ابن عبدالمهدي في ترجمته للشيخ .
 والذي تقدمه للناس الحموية الكبرى في طبعها الرابعة على أصل هندي
 مطبوع بمطبعة القرآن والسنة في بلدة أمرتسر ضمن مجموعة وهو مصحح على

نسخه خطية بمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام
وهذه الطبعة ممتازة على سابقتها بدقة التصحيح ومقابلتها على الطبقات الثلاث
السابقة واختيار لفظ أسحهم والطبعات الثلاث (١) ضمن مجموعة طبعت في الهند
في مطبعة القرآن والسنة في بلدة أمر تسر بدون ذكر تاريخ الطبع وقد طبعها أمير
من أمراء العرب هو قاسم بن محمد بن ثاني أمير قطر ووقفها الله تعالى بتاريخ سنة ١٣٢٢
(٢) ضمن مجموعة رسائل للشيخ ابن تيمية طبعت بمصر سنة ١٣٢٣ (٣) طبعة
هندية مترجمة إلى لسان أردو طبعت مع الترجمة في المطبعة الحمدية في بلدة لا بنور
سنة ١٢٩١ هـ باهتمام النواب صديق حسن خان كذلك .

وهذه الطبعة ممتازة أيضاً بحواش مفيدة في ترجمة العلماء الذين جاء ذكرهم
في الفتوى وتخريج أكثر أحاديث الفتوى مع الإشارة إلى المفيد من اختلاف النسخ
وبديلها رسالة (الحقيقة والمجاز في صفات الله تعالى) للإمام المذكور .

والتصحيح على قدر المستطاع فقد كانت النماذج تصحح ثلاث مرات وتقرأ
إلى ست وليس لنا في العمل إلا مهمة التصحيح والحواشي والفضل الأكبر في هذا
النشر لمجهود صاحب المهمة المشكورة مدير صوت الحجاز وصاحب المطبعة السلفية
بمكة الشيخ (محمد صالح بن حسن نصيف) فهو الذي ساعد على نشرها بماله
ومطبعته وعماله وراحته واننا نرفها في حلیمها الراغب منصف نسأل الله أن يجعل
العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به من شاء من خلقه انه سميع قريب أن
ربي لسميع الدعاء

كتبه

محمد عبد الرزاق صمزه

الفتوى الجموية الكبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الإسلام العالم الرباني تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبدالسلام
رحمه الله تعالى وذلك في سنة ثمان وتسعين وستمائة هـ وجرى بسبب هذا الجواب
أمور وعمن^(١) وهو جواب عظیم النفع^(٢) جداً فقال السائل :

ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين في آيات الصفات كقوله تعالى (الرحمن على
العرش استوى) وقوله (ثم استوى على العرش) وقوله (ثم استوى إلى السماء
وهي دخان) إلى غير ذلك من الآيات ، وأحاديث الصفات كقوله صلى الله عليه
وسلم « ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله « يضع الجبار
قدمه في النار » إلى غير ذلك وما قالت العلماء فيه وأبسطوا^(٣) انقول في ذلك
حماجورين إن شاء الله تعالى فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، قولنا فيها ما قال الله ورسول صلى الله عليه وسلم
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله
أئمة الهدى بمد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودراباتهم ، وهذا
الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره ، فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً
صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن
سراجه إلى صراط العزيز الحميد ، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه باذنه وسراجاً منيراً
وأمره أن يقول (هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) .

فن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس
من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

(١) .يشير إلى قيام العلماء الجامدين والمتصيين على الشيخ كما هو مشهور في ترجمته
رحمه الله ورضى عنه (٢) في نسخة : نافع (٣) ن : وليسطوا .

وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة . وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته — محال مع هذا أو غيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز بين ما يجب الله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما أكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدر كته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ؟

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة^(١) وقال : « تركتكم على الحجرة البيضاء ليامها كنهارها لا يز بغيرها بعدى إلا هالك »^(٢) وقال فيما صح عنه أيضاً « ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً ، وقال عمر بن الخطاب : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه ، رواه البخاري .

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويمتقدونه في قلوبهم^(٣) في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة

(١) الخراءة بكسر الخاء : أدب التخلي ، والكلام إشارة إلى حديث سلمان عند مسلم وأحمد — قال بعض المشركين وهو يستهزئ : « لئن لأرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة » قال : أجل الخ (٢) أخرجه ابن ماجه (٣) ن : بألسنتهم وقلوبهم .

من إيمان وحكمه أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن الحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصرها في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه .

ثم من الحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد تقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممنوع (أما الأول) فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه - أعنى بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته - وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق . وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم انكباباً^(١) على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك ، وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائله^(٢) فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها ، يعرف ذلك من طلبه وتنبيهه ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقول بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله ، والمؤمنين به حقيقة المعرفة للمأمور بها : من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم - وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً - فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذومهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن

(١) ن : ا كبا با (٢) ن : قائله .

طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة
الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) وان
طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع
المجازات (١) وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها
نبذ الإسلام وراء الظهر . وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة
الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم وبين الجهل والضلال
بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة
دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين
فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى
بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى — وهي التي سمونها طريقة
السلف — وبين صرف اللفظ إلى معاني بنوع (من) التكلف — وهي التي
يسمونها طريقة الخلف — فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع
فان الذي إنا اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا
فيه الكلام عن مواضعه ، فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين
الكاذبتين كانت النتيجة استجهاال السابقين الأولين واستبلاهم واعتقاد أنهم كانوا
قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا
لدقائق العلم الإلهي وإن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله .

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجدته في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة
كيف يكون هؤلاء المتأخرون — لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين
الذين كثروا في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر
الواقف (٢) على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم .

(١) ن : المجازات .

(٢) هو الشهرستاني كما ذكره الشيخ في العقل والنقل ص ٩٨

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
 فلم أر إلى واضعاً كلف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم
 وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به أو منسئين له فيما صنفوه من كتبهم
 كقول بعض رؤسائهم^(١) :

نهاية أقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
 وأرواحنا في وحشة من جسمنا غاية دنانا أذى ووبال ^{ديان}
 ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلاً ولا
 تروى غليلاً، ورريت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الاثبات (الرحمن على)
 العرش استوى - إليه يصعد الكلم الطيب (وأقرأ في النفي (ليس كمثل
 شيء . ولا يحيطون به علماء) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، وبقول
 الآخر^(٢) منهم : لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام، وعلومهم
 وخضت في الذي نهوني عنه، والآن أن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان
 وها أنا أموت على عقيدة أمي . ويقول الآخر منهم . أكثر الناس شكاً عند الموت
 أصحاب الكلام . ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم
 يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خير ولا وقعوا^(٣) من ذلك
 على عين ولا أثر - كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون^(٤) المسبوقون الحيارى
 المنهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه في باب ذاته وآياته من السابقين
 الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة .

(١) هو الرازي في كتابه أقسام اللذات الذي صنفه في آخر عمره وهو كتاب مفيد قاله
 الشيخ ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٢١ طبعه مصر .

(٢) هو أبو المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين كما ذكره الشيخ في التمهيد ص ٢٥١ .

(٣) ن : ولم يبقوا (٤) ن : المنقوضون ن : المنقوضون .

الأنبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب
وبه قاموا وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا
به على سائر اتباع الأنبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، واحاطوا من حقائق
المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة
ثم كيف يكون خير قرون الأمة انقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله
واحكام اسمائه وآياته - من هؤلاء الأصغر بالنسبة اليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ
المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة الجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى
والصابئين وأشكالهم وأشباههم اعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان
وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق
الهدى اين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من
التأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله
عليه وسلم من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين ،
والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على
ذلك ، وبدلالات كثيرة وليس غرضي واحد معيناً وإنما أصف نوع هؤلاء وإذا
كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة
مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى ،
هو فوق كل شيء وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق
السماء مثل قوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه -
إني متوفيك ورافعك إني - أمنتهم من في السماء أن يخسف بكم الأرض -
أم أمنتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا - بل رفعه الله إليه -
تعرج الملائكة والروح إليه - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم
يعرج إليه - يخافون ربهم من فوقهم - ثم استوى على العرش في سبعة

مواضع ﴿ الرحمن عن العرش استوى - ياها مان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب
أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا - تنزيل من
حكيم حميد - منزل من ربك ﴾ إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بالكلفة ،
وفى الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة مثل قصة معراج
الرسول إلى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه وقوله فى الملائكة
الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار « فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو اعلم
بهم » وفى الصحيح فى حديث الخوارج « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء
يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » وفى حديث الرقية الذى رواه أبو داود وغيره
« ربنا الله الذى فى السماء ، تقدر اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كرحمتك فى
السماء أجعل رحمتك فى الأرض أغفر لنا حو بنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل
رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع » قال صلى الله عليه وسلم ،
إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذى فى السماء ، وذكره
وقوله فى حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم
عليه » رواه أحمد وأبو داود وغيرهما وقوله فى الحديث الصحيح ^(١) للبخارية « أين
الله » قالت فى السماء قال « من أنا » قالت أنت رسول الله قال « اعتقها فانها
مؤمنة » وقوله فى الحديث الصحيح « أن الله لما خلق الخلق كتب فى كتاب
موضوع عنده فوق العرش أن رحمتى سبقت غضبى » وقوله فى حديث قبض الروح
« حتى يعرج به إلى السماء التى فيها الله » وقول عبد الله بن رواحة الذى أنشده
للنبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه :

وأن النار مشوى الكافر بنا

شهدت بأن وعد الله حق

وفوق العرش رب العالمينا

وأن العرش فوق الماء طاف

(١) يعنى صحيح مسلم

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفى الذى أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره
من شعره فاستحسنه وقال : « آمن شعره وكفره قلبه » ^(١)

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق لنا س وسوى فوق السماء سريرا
شرجما ^(٢) ما يناله بصر العـ ين ترى دونه الملائك صورا

وقوله فى الحديث الذى فى المسند ^(٣) « أن الله حى كريم يستحي من عبده إذا
رفع يديه إليه أن يردهما صفر » وقوله فى الحديث « يمد يديه إلى السماء يقول يارب
يارب ^(٤) إلى أمثال ذلك مما لا يحصىه إلا الله مما هو من أبلغ المقواترات اللفظية والمعنوية
التي تورث علما يقينا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله الذى
إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على
ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم فى الجاهلية والإسلام إلا من اجتاتته الشياطين
عن فطرته ، ثم عن السلف فى ذلك من الأقوال ما لاجم لبلغ مئين أو ألوفا ، ثم ليس
فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن واحد من سلف
الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لم باحسان ، ولا عن الأئمة الذين ادركوا
زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لانصا ولا ظاهرا ، ولم يقل
أحد منهم قط أن الله ليس فى السماء ولأنه ليس على العرش ، ولا انه بذاته فى كل
مكان ، ولا أن جميع الامكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ،
و (لأنه) لا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز الاشارة الحسية إليه بالأصابع
ونحوها ، بل قد ثبت فى الصحيح ^(٥) عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) فى أسنى المطالب : رواه الخطيب وهو ضعيف (٢) قوله شرجما أى طويلا
(صورا) جميع اصورا أى المثل العنق . (٣) ن : السنن (٤) فى الترغيب والترهيب :
سرواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة — أى فى حديث طويل فى الترغيب فى أكل الحلال
(٥) يعنى صحيح مسلم .

لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم جعل يقول « ألا هل بلغت » فيقولون نعم فيرفع أصبعه إلى ^(١) السماء وينكبها إليهم ويقول « اللهم أشهد » غير مرة وأمثال ذلك كثيرة .

فإن كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحدون به قط ، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً ، حتى يجيء انبساط الفرس والروم ، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدوها ^(٢) اثن كان ^(٢) ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكفون هو الإعتقاد الواجب وهم مع ذلك احيوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ، لقد كان ترك للناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين .

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء : أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ، وليكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به - سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن - وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم همنا فريقان (أكثرهم) يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوهه (ومنهم) من يقول بل توقفوا فيه - وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع على اختلاف على وجه الأرض فانفوهه ، وإليه عند التنازع

(١) ن : نحو (٢) ن لأن كل ولا يظهر وجهها .

فارجعوا فإنه الحق الذي تعبدتم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ويثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أني امتحنكم لالتعملوا بتنزيله، ولا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخرجه على شواذ اللغة ووحشى الألفاظ وغرائب الكلام وأن^(١) تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله^(٢) مع نفي دلالة على شيء من الصفات. هذا حقيقة الأمر على رأى هؤلاء المتكلمين. وهذا الكلام قد رأيت صرح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول معزول عن التعاليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة^(٣) والفلاسفة وهم المشركون والمجوس^(٤) وبعض الصابئين^(٥) وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به، وإذا لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أمروا أن يكفروا بهم، وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله^(٦) سبحانه وتعالى « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف إذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا » فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول - والدعاء إليه بعد وفاته هو

(١) ن : أو ان (٢) ن : باسقاط لفظ الجلالة وتشديد الياء من إلى .

(٣) كهان الهند الوثنيين (٤) عباد النار من الفرس .

(٥) الصابئون عباد الكواكب من الروم والهند ونحوهم .

(٦) أى مجال من ذكرهم في قوله الخ .

الدعاء إلى سنته - أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : انا قصدنا الإحسان علماً
وعلا بهذا الطريق الذي سلكناه والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت
من طواغيت المشركين أو الصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم
مثل فلان وفلان أو عن قال كقولهم لتشابه قلوبهم قال الله تعالى « فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت
ويسلموا تسليماً - كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف « الآية -
ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا شفاء
لما في الصدور ، ولا نوراً ولا مرداعند التنازع لانا نعلم بالاضطرار أن مايقوله^(١)
هؤلاء المتكلمون : أنه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا
نصاً ولا ظاهراً ، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله (ولم يكن له كفواً أحد) -
(هل تعلم له سميّاً) وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس
على العرش ، ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله (هل تعلم له سميّاً) لقد ابعده
النجمة وهو إما ملغز واما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين ولازم هذه المقالة
أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم لأن مردهم قبل الرسالة
وبعدها واحد وإنما الرسالة^(٢) زادتهم عمى وضلالة .

ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة
هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه
مقاييسكم^(٣) واعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا

(١) ن : يقول . (٢) ن : الرسل . (٣) ن : أو

ظاهر وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ومالا يوافق^(١) فتوقفوا فيه أو انفوه .

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبر بأن أمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة^(٢) فقد علم ما سيكون ثم قال « إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله » وروى عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية « هم من كانوا على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » فهلا قال من تمسك بالقرآن أو بدلاله القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضال ، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة في هذه المقالة وأن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين .

ثم أصل هذه المقالة — التمطيل للصفات — إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام — اعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإنما استولى بمعنى إستولى ونحو ذلك — أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد^(٣) بن درهم وأخذها عنه الجهم بن^(٤) صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمان وأخذها أبان من طلوت بن أخت ليبيد بن

(١) ن : لا يوافق . (٢) رواه أبو داود والترمذى وأحمد .

(٣) قال الذهبي في الميزان في ترجمة الجعد : عداه في التابعين ضال مبتدع زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق والقصة مشهورة اه وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان : وللجعد أخبار كثيرة في الذنقة وساق وحدة منها فراجع .
(٤) قال الذهبي : الجهم ابن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً اه ميزان . وذكر الحافظ في اللسان أن قتله كان سنة ٢٨ يعني بعد المائة وذكر سيبه وهو خروجه مع الحارث ابن شريح على أمراء خراسان وقبض نصر بن سيار عليه وقتله على الخروج .

الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان الجعد بن درهم هذا — فيما قيل — من أرض حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة — بقايا دين أهل نمرود والسكفانيين الذين صنف بعض^(١) المتأخرين في سحرم — ونمرود هو ملك الصابئة السكلدانية^(٢) المشركين كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس ، وفرعون ملك مصر^(٣) ، والنجاشى ملك الحبشة للنصارى فهذا اسم جنس لا اسم علم .

فكانت الصابئة — إلا قليلا منهم — إذ ذاك على الشرك ، وعلمائهم الفلاسفة وإن كان الصابئة قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقال « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين كما أن كثيرا من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارا ومشركين ، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفارا ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب وبينون لها الهياكل .

ومذهب النفاة من هؤلاء فى الرب أنه ليس له الاصفات سلبية أو اضافية أو مركبة منها وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة والفلاسفة ، وكذلك أبو نصر الفارابى^(٤) دخل حران وأخذ عن

(١) هو الرازى وكتابه اسمه السر المكتوم . (١) ن : السكلدانيين .

(٣) ن : القبط . (٤) محمد بن طرخان بن أوزلع التركى الفيلسوف المشهور

صاحب التصانيف فى المنطق والموسيقى وغيرها أكبر فلاسفة الاسلام تخرج ابن سينا بكتبه سنوى بدمشق سنة ٣٣٩ هـ ملخصا من ابن خلدان .

فلاسفة الصابئين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً — فيما ذكره الإمام أحمد وغيره — لما ناظر السمنية^(١) بعض فلاسفة الهند — وهم الذين يحدون من العلوم ما سوى الحسيات — فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين^(٢) والمشركين ، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين .

ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما القى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما القاه في قلوب أشباههم .

ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم كثير في ذمهم وتضليلهم .

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر^(٣) بن فورك في كتاب التأويلات، وذكرها أبو عهد الله محمد بن عمر الرازي^(٤) في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خالق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي^(٥) وعبد الجباري بن أحمد الهمداني^(٦)

(١) هم بدا (البوذيون) قليلهم في الهند وأكثر بالصين . (٢) ن : النصارى

(٣) محمد بن الحسين بن فورك المتكلم الأصولي توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٤) المعروف بابن الخطيب الملقب فخر الدين توفي ٦٠٦ هـ .

(٥) محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن لمران مولى عثمان بن عفان أحد أئمة المعتزلة شيخ

أبي الحسن بالأشعري توفي سنة ٣٠٣ هـ .

(٦) الفاضل المتكلم : له تصانيف وكان من غلاة المعتزلة بعد الأربعمائة هـ ميزان الذهبى،

تتوفى سنة ٤١٥ هـ كما في لسان الميزان .

وأبي الحسين البصرى^(١) وأبي الوفاء بن عقيل^(٢) وأبي حامد الغزالي^(٣) وغيرهم هي
بعضها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام
بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا ولم كلام حسن في أشياء .

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي ويدل على ذلك^(٤)
كتاب الرد الذي صنعه عثمان بن سعيد الدرايمى أحد الأئمة المشاهير في زمان^(٥)
البخارى صنف كتابا وسماه (نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما أفترى
على الله من^(٦) التوحيد) حكى فيه هذ التأويلات باعيانها عن بشر المريسي^(٧)
بكلام يقتضى أن المريسي أقعد بها واعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين
الذين اتصلت إليهم من جهة وجهته غيره ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالع
العاقل الذكى علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحججة لطريقهم وضعف
حجة من خالفهم .

ثم إذا رأى الأئمة — أئمة الهدى — قد أجمعوا على ذم المريسية^(٨) وأكثرهم

(١) محمد ابن على الطيب البصرى المتكلم على مذهب المعتزلة توفى ٤٣٦ هـ .

(٢) قال الذهبي في الميزان : أبو محمد وأبو الوفاء على بن عقيل انظفري الحنبلى ٤٠٠
مجلد لإلا أنه خالف السلف ووافق المعتزلة في عدة بدع — نسأل الله العفو والسلامة فإن
كثرة التبخر في الكلام ربما أضر بصاحبه ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعقبة .
توفى سنة ٥١٣ هـ .

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسى الفقيه الشافعى . توفى سنة ٥٠٥ هـ .

بالباطران

(٤) في المصرية . وعلمنا ذلك بكتاب

(٥) ن : ومن .

(٦) ن : في

(٧) الفقيه الحنفى المتكلم أخذ الفقه عن أبي يوسف وكان مرجئا

ولايه تنسب الطائفة المريسية توفى سنة ٢١٨ هـ اها بن خاسكان .

(٨) اتباع بشر المريسي المتقدم آنفا .

كفروهم أو ضللوهم ، وعلم أن هذا القول السارى فى هؤلاء المتأخرين هو مذهب
الريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والفتوى لا تحتمل البسط فى هذا الباب وإنما أشير إشارة إلى مبادئ
الأمر والعاقل يسير^(١) وينظر .

وكلام السلف فى هذا الباب موجود فى كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر
ههنا إلا قليلا منه مثل كتاب السنن للإسكائى^(٢) والابانة^(٣) لابن بطة والسنة
لأبى ذر الهروى^(٤) والأصول لأبى عمرو الطلمنكى^(٥) وكلام أبى عمر بن عبد البر^(٦)
والأسماء والصفات للبيهقى^(٧) وقبل ذلك السنة للطبرانى^(٨) ولأبى الشيخ^(٩)
الاصبهانى ولأبى عبد الله بن منده^(١٠) ولأبى أحمد العسال^(١١) الاصبهانيين

(١) ن : يسير (٢) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور والرازى الإسكائى
الشافعى المتوفى سنة ٤١٨ هـ (٣) عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى شيخ الحنابلة فى
وقته توفى سنة ٣٨٧ هـ (٤) أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الأنصارى
الهروى الحافظ الزاهد العابد المالسى شيخ الحرم توفى سنة ٤٣٤ هـ .
(٥) أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبيد الله الأندلسى الطلمنكى المالسى المتوفى
سنة ٤٢٩ هـ .

(٦) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (بن عبد البر) النيرى القرطبي المالسى
الحافظ صاحب كتاب التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها من المصنفات الممتعة المباركة
النافعة المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بشاطبة (٧) أحمد بن الحسن أبو بكر البيهقى الشافعى
الحافظ صاحب السنن وغيرها المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

(٨) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبرانى الحافظ صاحب المعجم الثلاثة
توفى سنة ٣٦٠ هـ (٩) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد وأبو الشيخ
ابن حيان المتوفى سنة ٣٦٩ هـ (١٠) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي الحافظ
صاحب تاريخ اصبهان توفى سنة ٣٠١ هـ (١١) القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم
الاصبهانى العسال صاحب التصانيف توفى سنة ٣٤٩ هـ .

وقبل ذلك السنة للخلال^(١) والتوحيد لابن خزيمة^(٢) وكلام أبي العباس بن سريح^(٣) والرد على الجهمية لجماعة مثل البخارى^(٤) وشيخه عبد الله بن محمد ابن عبد الله الجعفي^(٥) وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد^(٦) والسنة لأبي بكر ابن الأثرم^(٧) والسنة لحنبل^(٨) والمروزي^(٩) ولأبي داود السجستاني^(١٠) ولابن أبي شيبه^(١١) والسنة لأبي بكر بن أبي عاصم^(١٢) وكتاب خالق أفعال العباد للبخارى وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد

- (١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال مؤلف علم أحمد بن حنبل بمرتبة المتوفى سنة ٣١١ هـ .
- (٢) أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة الشافعي إمام الأئمة صاحب الصحيح أخذ الفقه عن الزني توفى سنة ٣١١ هـ .
- (٣) القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريح البغدادي قدوة الشافعية مات سنة ٣٠٦ هـ (٤) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى إمام الدنيا في الحديث هو حفظه وعلله صاحب الجامع الصحيح وغيره توفى سنة ٢٥٦ هـ (٥) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي البخارى الحافظ المسندي المتوفى سنة ٢٢٩ هـ كان في الأصل : محمد بن عبد الله ، فصحناه كما في كتب الرجال .
- (٦) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل الحافظ الثقة البغدادي توفى سنة ٢٩٠ هـ
- (٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني الأثرم البغدادي صاحب الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ
- (٨) أبو علي حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال بن أسد الحافظ الثقة ابن عم الإمام أحمد وتلميذه مات سنة ٢٧٣ هـ .
- (٩) أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المرزوي القاضي أحد أوعية العلم وثقات المحدثين مات في القضاء بدمشق سنة ٢٩٢ هـ .
- (١٠) أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحق السجستاني صاحب السنن إمام جليل مات سنة ٢٧٥ هـ .
- (١١) أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان (بن أبي شيبه) العباسي الكوفي الحافظ أحد الأعلام توفى سنة ٢٢٥ هـ .
- (١٢) أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل (أبي عاصم) الضحاك بن مخلد الشيباني البصري قاضي أصبهان توفى سنة ٢٧٧ هـ .

الدارمي^(١) وغيرهم وكلام أبي العباس عبد العزيز المسكي^(٢) صاحب الحيدة في الرد على الجهمية وكلام نعيم بن حماد الخزاعي^(٣) وكلام غيرهم وكلام الامام أحمد بن حنبل^(٤) واسحاق بن راهويه^(٥) ويحيى ابن سعيد^(٦) ويحيى ابن يحيى النيسابوري^(٧) وأمثالهم .

(١) عثمان بن سعيد الدارمي صاحب كتاب النقض على بشر المريسي وغيره قال الفضل الفرات ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ولا رأى هو مثل نفسه أخذ الحديث عن يحيى بن معين وابن المديني والفقهاء عن البيهقي والأدب عن ابن الأعرابي فتقدم في هذه العلوم . مات بعد سنة ٢٨٠ هـ بسجستان ١ هـ من العلو الذهبي ص ٢٤٧ طبع المنار .

(٢) عبد العزيز بن يحيى عبد العزيز الكنانى المسكى الذى ينسب إليه الحيدة في مناظرته لبشر المريسي وكان يلقب بالقليل لدمامته له تصانيف . لم يصح اسناد كتاب الحيدة إليه فكأنه وضع عليه — فأنه أعلم ١ هـ من ميزان الذهبي وقال في تهذيب التهذيب : قال الخطيب : قدم بغداد في أيام المأمون وجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن وهو صاحب كتاب الحيدة وكان من أهل العلم والفضل وله مصنفات عديدة وكان ممن تفقه للشافعي واشتهر بصحبته اه .

(٣) أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي الحافظ صاحب التصانيف مات بالسجن بسر من رأى لأنه لم يعمل إلى القول بخلق القرآن سنة ٢٢٨ هـ ١ هـ ميزان وخلاصة .

(٤) الامام الفقيه الحافظ العلم الحجة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال الشافعي خرجت من بغداد وما خلقت بها أفقه ولا أروع ولا أزهى من أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٤١ هـ عن ٧٧ سنة ١ هـ خلاصة وحواشيها .

(٥) الامام الفقيه الحافظ العلم أبو محمد اسحق بن ابراهيم بن محمد بن ابن ابراهيم المشهور بابن راهويه شيخ البخارى قال أحمد (بن حنبل) لا أعلم لاسحق نظيرا ، اسحق عندنا من أئمة المسلمين وإذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتمسك به — توفي سنة ٢٣٨ هـ عن ٦٧ سنة ١ هـ خلاصة .

(٦) أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان البصرى الحافظ الحجة أحد أئمة الجرح والتعديل قال أحمد ما رأيت عيناى مثله مات سنة ٢٩٨ هـ خلاصة .

(٧) يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلي التميمي ولاء أو نسبا الحافظ أحد الأئمة قال اسحق ما رأيت مثله ولا رأى مثل نفسه وهو أثبت من ابن مهدي مات يوم مات وهو إمام الدنيا وقال النسائي مات الثقة المأمون — سنة ٢٢٦ هـ ١ هـ خلاصة .

وقيل : كعبد الله بن المبارك^(١) وأمثاله وأشياء كثيرة وعندنا من

الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضوع لذكره

وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة ولكن لا يمكن ذكرها

في الفتوى فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير^(٢)

فاذا كان أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل والتأويل - مأخوذاً عن تلامذة

المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن - بل نفس عاقل -

أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله

عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين^(٣)

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ولاء الروزي أحد الأئمة
الأعلام وشيوخ الإسلام قال ابن عيينة بن المبارك عالم المشرق والمغرب وما بينهما وقال شعبة :
ما قدم علينا مثله ولد سنة ١١٨ هـ ومات سنة ١١٨ هـ خلاصة .

(٢) ن : يسر .

(٣) قال الذهبي في ترجمة (علي بن عبيد الله) ابن الحسن الزعفراني الفقيه الحنبلي : له
تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة يدعوها الكونه نصرها وما هذا من خصائصه بل
قل من آمن النظر في الكلام إلا وأداه (إلى ذلك) فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء
الدهرية فمن راجع بين علم الأنبياء عليهم السلام وبين علم الفلاسفة بذكائه فلا بد وأن
يخالف هؤلاء وهؤلاء ومن كف وشى خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا ولم
يتحذلق ولا عمق - فإنهم صلوات الله عليهم أطلقوا وما عمقوا - فقد سلك طريق السانف
الصالح وسله له دينه ويقينه نسأل الله السلامة في الدين اه .

فصل

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو
 ووصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث .
 قال الامام أحمد رضى الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو
 ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث .

ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله
 من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكبير ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله
 به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا احاجى بل معناه يعرف من حيث يعرف
 مقصود المتكلم بكلامه - لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق
 في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والارشاد . وهو سبحانه
 مع ذلك ليس كمثل شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا في أفعاله ،
 فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات
 حقيقة وهو ليس كمثل شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فكل ما
 أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزّه عنه حقيقة ، فإنه سبحانه مستحق للكمال
 الذى لا غاية فوقه ، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث
 سابقة العدم ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى
 ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه
 كما يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله فيعطلوا^(١)
 أسماء الحسنى وصفاته العلى ، ويحرفوا الكلام عن مواضعه ، ويلحدوا في أسماء الله وآياته

(١) بحذف النون فيه وفي الفعلين بعده لأنه جواب النون مقرونا بالفاء وكان في الأصل
 بإثبات النون خطأ من التساخ خذفناها تصحيحاً .

وكل واحد من فريق^(١) التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل -
أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالخلق ثم
شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل - مثلوا أولاً
وعطلوا آخرها ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من
أسماء خلقه وصفاتهم ، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات
اللائقة بالله سبحانه وتعالى ، فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما
أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً ، وكل ذلك من المحال ، ونحو ذلك
من الكلام فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على
أى جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم ، إما استواء يليق بجلال الله ويختص
به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة^(٢) التي يجب نفيها كما يلزم سائر الأجسام ، وصار
هذا مثل قول المثل إذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهرراً أو عرضاً^(٣) إذ
لا يعقل موجود إلا هذان ، بقوله إذا كان مستوياً على العرش فهو مماثل لا استواء
الإنسان على السرير والفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا فإن كليهما مثل وكليهما
عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الأول بتعطيل كل اسم^(٤) للاستواء
الحقيقي وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين .

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق
بجلاله ويختص به فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ،
وأنه سميع بصير ، ونحو ذلك ولا يجوز أن يثبت للعالم والقدرة خصائص الأعراض
التي لعلم المخلوقين وقدرتهم ، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته
خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها .

(١) في الهندية : بمن نفي وهي خطأ .

(٢) في المصرية الثلاثة .

(٣) زاد في الهندية : وكلاهما محال . ولا محل لها هنا .

(٤) ن : مسمى الاستواء .

وأعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً ، لكن هذا الموضوع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق فمن كان في قلبه شبهة واحب حلها فذلك سهل يسير .

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمر مريج^(١) فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها وأنه مضطر فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن الله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول : ان العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن يزعم^(٢) أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل .

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله .

يأليت شعري باى عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضى الله عن الإمام مالك ابن أنس حيث قال : « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء^(٣) » .

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر وهو من وجوه (أحدها) بيان أن العقل لا يحيل ذلك و (الثاني) أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل و (الثالث) أن عامة هذه الأمور^(٤) قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالإضطرار كما أنه جاء بصلاة^(٥) الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها عن

(٣) ن : هنا

(٢) ن : زعم .

(١) ملتبس مختلط .

(٥) بالصوات .

(٤) ن : هذا الأمر .

هذا بمنزله تأويل القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوات (الرابع) أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل وإنما يعلمه^(١) مجملاً إلى غير ذلك من الوجوه على أن الوجوه^(٢) الأساطين من هؤلاء الفعول معترجون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الالهية :

فإذا كان هكذا فالواجب تلقى علم ذلك النبوات على ما هو عليه ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر . والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وبالْيَوْمِ الآخِرِ وما هم بمؤمنين) وقال تعالى (ما خلقكم ولا بمشكم إلا كنفس واحدة) وقال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) وقد بين الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به سراده .

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيره بذلك وأنصح من غيره للأمة وأفصح من غيره عبارة وبيانا بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته كمل كلامه وفعله ، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه وإما من عجزه عن بيان علمه وأما لعدم إرادته البيان .

والرسول هو الغاية في كمال العلم ، والغاية في كمال إرادته للبلاغ المبين ، والغاية في قدرته على البلاغ المبين — ومع وجود القدرة النامية والإرادة الجازمة يجب وجود

(١) ن : عتله (٢) ن : بحذفها

المراد - فعمل قطعا أن ما بينته من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان ، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه وعلمه بذلك أكل العلوم . فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه وأكمل بيانا منه أو أحرص على هدى الخلق منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين .

والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة .

وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل .

﴿ فأهل التخييل ﴾ هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصرف ومتفقه فإنهم يقولون : أن ما ذكر الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا أنه بين به الحق ، ولا هدى به الحق ، ولا أوضح به الحقائق . ثم هم على قسمين (منهم من يقول : أن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ويقولون : أت من المتفلسفة الألهية^(١) من علمها وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها يزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين .

وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية والباطنية الشيعية والباطنية الصوفية (ومنهم)^(٢) من يقول بل الرسول علمها لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها لأن مصلحة الخلق في هذه الإعتقادات التي لا تطابق الحق ويقول هؤلاء : يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل ، وإلى إعتقاد معاد الآبدان مع

(١) يعنى الفلاسفة المعترفين بوجود الله كإفلاطون وأرسطو والفارابى وابن سينا .

(٢) أى أهل التخييل .

أنه باطل ، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل ، قالوا :
لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد
فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر (وأما الأعمال) فمنهم من يقرها
ومنهم من يجريها هذا الجري . ويقول : إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض
ويؤمر بها العامة دون الخاصة فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الإسماعيلية^(١) ونحوهم .
﴿ وأما أهل التأويل ﴾ فيقولون أن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها
الرسول أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني ،
ولا دلهم عليها ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف
تلك النصوص عن مدلولها ، ومقصوده إمتحانهم وتكليفهم واتعاب أذهانهم
وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرف الحق من غير جهته
وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك^(٢) .

والذين قصدنا الرد في هذه الفيتيا عليهم هم هؤلاء ، إذ كان نفور الناس عن
الأولين مشهوراً بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم
في الحقيقة لا للإسلام نصرُوا ولا للفلسفة كسروا لكن أولئك الملاحدة انزوموم
في النصوص - نصوص المعاد - نظير ما ادعوه في نصوص الصفات فقالوا لهم : نحن
نعلم بالإضطرار أن^(٣) الرسول جاء بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشبهة المانعة
منه . وأهل السنة يقولون لهؤلاء^(٤) : ونحن نعلم بالإضطرار أن الرسل جاءت بإثبات
الصفات . ونصوص^(٥) الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص
المعاد و يقولون لهم : معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد وقد
أنكروه على الرسول وناظروه عليه بخلاف الصفات فإنه لم يكن العرب تنكرها
فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد ، وأن إنكار المعاد أعظم

(١) فرقة من غلاة الشيعة أكثرهم بالهند ومنهم بالشام (٢) أي كالأشعرية

وبعض الحنابلة (٣) ن : الرسل جاءت (٤) أي المتكلمين (٥) من الصفات .

من إنكار الصفات ، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به ؟ (وأيضاً) فقد علم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه ، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات فلو كان هذا مما بدل وحرف لكان إنكار ذلك عليهم أولى^(١) فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات ضحك تعجباً وتصديقا لها^(٢) ولم يعيهم قط بما تعيب الفغاة لأهل الانبيات^(٣) على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك بل عابهم بقولهم ﴿ يد الله مغلولة ﴾ وقولهم ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقولهم : أنه استراح لما خلق السموات والأرض فقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث ، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن فإذا جاز أن تتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى ، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل فالأولى بالبطلان .

﴿ وأما الصنف الثالث ﴾ رهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يقولون : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ، ولا جبريل يعرف معاني الآيات ، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك . وكذلك قولهم في أحاديث الصفات : أن معانيها لا يعلمها إلا الله مع أن الرسول تكلم بها إبتداءً فعلى قولهم تسكلم بكلام لا يعرف معناه .

(١) ن : أولاً .

(٢) يشير إلى حديث ابن مسعود : جاء خبر إلى رسول الله فقال يا محمد « أن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ، ثم يقول بيده أنا الملك فضحك رسول الله وقال : وما قدروا الله حتى قدره اه وهو في صحيح البخارى في كتاب التوحيد في باب قول الله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) .

(٣) ن : مثل .

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ فإنه وقف أكثر السلف على قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره ، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين وعظوا في ذلك .

فإن لفظ التأويل يراد به ثلاث معان^(١) فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقتضيه بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلا على اصطلاح هؤلاء وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك ، وأن لفصوص تأويلا يختلف لدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون . ثم كثير من هؤلاء يقولون : تجرى على ظاهرها فظاهرها مراد مع قولهم : إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم (والمعنى الثاني) أن التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافق وهذا هو معنى التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن اسحاق وابن قتيبة وغيرهم ، وكلا القولين حتى باعتبار كلا أسطناه في موضع آخر ، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا ، وكلاهما حتى (والمعنى الثالث) أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره ، فتأويل ما أخبر الله به في الجنة - من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك - هو الحقائق الموجودة أنفسها لا ما يتصور من معانيها في

الأذهان ويعبر عنه باللسان ، وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف أنه قال ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ وقال تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ .

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله ، وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كالك وغيره : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، فالاستواء معلوم يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى ، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقد روى عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه ، تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهلته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فمن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا كما قال تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ﴿ أعددت له بادي للصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ^(١) ﴾ وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك ، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وإن كنا نفهم معاني ما خاطبنا به ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه كما قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ وقال ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ فامر بتدبر

(١) عزاه الشيخ ابن كثير في تفسير سورة السجدة إلى رواية البخاري في تفسير قول الله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم ﴾ وإلى مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه — مرفوعاً

القرآن كله لا يتدبر بعضه ، وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عن عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . وقال مجاهد . عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته أوقف عند كل آية واسأل عنها . وقال الشعبي ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها وقال مسروق ما سئل^(١) أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولا يكن — غلطنا قصر عنه . وهذا باب واسع قد بسط في موضعه .

والمقصود هنا التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعنى القرآن الذي نزل إليه ولا جبريل جعله^(٢) غير عالم بالسمعيات ولم يجعل القرآن هدى ولا بياناً للناس . ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالسكوية فلا يعملون عند الرسول وأمته في باب معرفة الله عز وجل لا علوما عقلية ولا سمعية وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى السلف من الجهل كما اخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة .

ونحن نذكر من الفاظ السلف باعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ، ما يعلم به مذهبهم .

روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات باسناد صحيح عن الأوزاعي قال كنا — والتابعون متوافرون^(٣) — : نقول أن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من الصفات .

(١) ن : قال (٢) قوله : جمله هو خبر أن وضميره البارز راجع إلى الرسول لا إلى جبريل (٣) ن : متوافقون .

وقد حكى الأوزاعي - وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابع التابعين الذين هم مالك^(١) أمام أهل الحجاز والأوزاعي^(٢) إمام أهل الشام والليث^(٣) أمام أهل مصر والثوري^(٤) إمام أهل العراق - حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية .

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه . والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا .

وروي أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث فقالا : - أمروها كما جاءت ، وروي أيضا عن الوليد ابن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت - وفي رواية - قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف .

وقولهم رضى الله عنهم : أمروها كما جاءت رد على المعطلة ، وقولهم : بلا كيف رد على الممثلة .

والزهرى^(٥) ومكحول^(٦) هما أعلم التابعين في زمانهم ، والأربعة الباقون أئمة الدين في عصر تابعي التابعين ومن طبقاتهم حماد بن زيد^(٧) وحماد بن سلمة^(٨) وأمثالها .

(١) الامام أبو عبد الله مالك بن أنس المتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ هـ

(٢) أبو عمرو الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧ هـ

(٣) أبو الحارث الليث بن سعد المصري المتوفى بمصر سنة ١٧٥ هـ

(٤) أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ عن ٦٤ سنة .

(٥) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٥ هـ

(٦) أبو عبد الله مكحول الشامي مات وله بضع عشرة ومائة سنة .

(٧) أبو اسماعيل البصرى المتوفى سنة ١٧٩ هـ عن ٨١ سنة .

(٨) ابو سلمة البصرى المتوفى سنة ١٦٧ هـ

وروى أبو القاسم الأزجى^(١) بإسناده عن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاء الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديروا لكتاب الله ، واستكمال طاعة الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها وانبع غير سبيل المؤمنين ولاء الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وروى الخلال بإسناد كاملهم أئمة ثقات عن سفیان بن عيينه قال سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين . وعلمنا التصديق . وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه (ومنها) ما رواه أبو الشيخ^(٢) الأصبهاني وأبو بكر البيهقي^(٣) عن يحيى بن يحيى قال كفا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علام الرخصاء ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فامر^(٤) به أن يخرج .

(١) قال السمعاني في الانساب : الأزجى بفتح الألف والزاي وفي آخرها الجيم ، هذه النسبة إلى باب الأزج وهي محلة كبيرة ببغداد وكان منها جماعة كثيرة من العلماء والزهاد والصالحين وكلهم لإشياء الله على مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله والمشهور بهذه النسبة . أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل بن سكر بن بكران الأزجى الخياط من أهل باب الأزج كان ثقة صدوقا متكثرا صاحب كتاب - ثم قال : سمع منه جماعة كثيرة منهم أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ومات في المحرم سنة ٤٤٤ هـ ودفن بباب حرب اه ما خلا .

(٢) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المتوفى سنة ٣٦٩ هـ .

(٣) هو أحمد بن الحسين البيهقي توفى سنة ٤٥٨ هـ .

(٤) ن : ثم أمر .

فقول ربعة ومالك الإستواء غير مجهول الكيف غير معقول والايان به واجب موافق لقول الباين : أمرها كما جاءت بلا كيف ، فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ولما قالوا : أمرها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم (وأيضاً) فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن (١) اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات (وأيضاً) فإن من ينفي الصفات الجزئية (٢) - أو الصفات مطلقاً - لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فن قال : أن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف (وأيضاً) فقولهم : أمرها كما جاءت يقتضى إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت الفاظ دالة على معانى فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف ، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لقو من القول .

وروى الأثرم في السنة ، وأبو عبد الله بن بطة في الإبانة ، وأبو عمرو والظلمنى وغيرهم باسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون - وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي دثب - وقد سئل عما (٣) ححدث به الجهمية :

أما بعد قد فهمت ما سألت فيما تقابعت الجهمية ومن خلفها (٤) في صفة الرب العظيم الذى فاقت عظمته الوصف والتدبر (٥) وكلت الألسن عن تفسير

(١) ن : من (٢) كذا ولعل صوابها الخبرية (٣) ن : فيما .

(٤) ن : خالفها (٥) ن : والتقدير .

صفته وانحصرت العقول دون معرفة قدرته ، وردت عظمته العقول فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهى حسيرة . وإما أمروا بالنظر والتفكير فيما خاق بالتقدير، وإما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان . فأما الذى لا يحول ولا يزول ، ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو . وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ، ومن لا يموت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف ؟ — على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه — الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه ^(١) لا تكاد تراه صغراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر ، لما ^(٢) يتقلب به ويحتمل عن عقله أعرض بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

— « إعرف رحمك الله وغناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بمجرك عن معرفة قدر ما وصف منها ؛ إذا لم تعرف قدرها ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف ؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تزجر به عن شيء من معصيته ؟ فأما الذى جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً فقد (أستهوته الشياطين فى الأرض حيران) فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسمى من نفسه بأن قال : لا بد أن كان كذا من أن يكون له كذا فعنى عن البين بالخلق ، فجحد ما سمي الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملئ له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا لله أفضل كرامة التى أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه نصرته أيامه فى مقعد صدق عنه

(١) ت . مخلوقاته .

(٢) اللام للتأكيد وما اسم موصول أى للذى .

سليكم مقتدر قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون — إلى أن قال —
« وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة لأنه قد عرف أنه إذا
تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً ،
وقال المسلمون يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « هل تضارون^(١) في رؤية الشمس ليس دونها سحب » ؟
قالوا لا قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحب »
قالوا لا قال « فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول قط قط^(٢) وينزوى بعضها
إلى بعض » وقال لثابت ابن قيس « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة »
وقال فيما بلغنا « أن الله تعالى ليضحك من أزالكم^(٣) وقنوطكم وسرعة إجاباتكم »
فقال له رجل من العرب أن ربنا ليضحك ؟ قال لا « نعم » نعدم من رب يضحك
خيراً في أشباه لهذا مما لا نحصيه وقال تعالى ﴿ وهو السميع البصير — وأصبر
لحكم ربك فإنك باعيننا ﴾ وقال تعالى (ولتصنع على عيني) وقال تعالى
(ما منك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)
فوالله ما دلم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته الأصغر نظيرها
منهم عندهم إن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم ، فما وصف
الله به نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميانه كما سماه ولم تتكلف
منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا ، ولا نجحد ما وصف ولا تتكلف معرفة
ما لم يوصف .

(١) تضارون بتخفيف الزاء وتشديدها من الضير أو الضر بمعنى واحد .

(٢) قط اسم فعل بمعنى يكفى .

(٣) الأزل الضيق والشدة .

(إعلم) رحمتك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد حد لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفتدده وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً^(١) ولا تكلفن بما وصف لك من ذلك قدرا ، وما انكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تكفر علمه بمقلتك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كان كارك ما وصف منها فكما أعظمت ما ججده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد - والله - عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفةهم يعرف ، وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم^(٢) ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه ، والراسخون في العلم ، الواقفون حيث انتهى علمهم ، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمي منها ججدا ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمي (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصاه جهنم وساءت مصيراً) وهب الله لنا ولكم حكماً والحققنا بالصالحين .

وهذا كله كلام ابن الما جشون الإمام فتدبره وانظروا كيف أثبت الصفات ونفى

(١) عيباً

(٢) ن : سليم .

علم الكيفية موافقا لغيره من الأئمة وكيف أنكر على نفي الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضا فيكون محدثا .

وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رواه باسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال . سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال : لا تكفرون أحداً يذنب ولا تنفي أحداً به من الإيمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تقبراً من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا توالى أحداً دون أحد وأن ترد أمر عثمان وعلى إلى الله عز وجل .

قال أبو حنيفة : الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير قال أبو مطيع قلت أخبرني عن أفضل الفقه قال تعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة - وذكر مسائل الإيمان ثم ذكر مسائل القدر والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه - ثم قالت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فينبهه على ذلك اناس فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك ؟ قال لا قلت ولم وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة قال كذلك لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام قال - وذكر الكلام في قتل الخوارج والبيعة إلى أن قال - قال أبو حنيفة عن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض : فقد كفر لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات قلت فإن قال إنه على العرش استوى واسكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل - في لفظ . سألت أبا حنيفة عن يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض

قال قد كفر قال لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات قال فإنه يقول على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في الأرض أم في السماء قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر .

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فكيف يكون النافي الجاحد الذي يقول ليس في السماء ولا في الأرض ؟ واحتج على كفره بقوله (الرحمن على العرش استوى) قال وعرشه فوق سبع سموات وبين بهذا أن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) بين أن الله فوق السماوات فوق العرش وأن الاستواء على العرش دل على أن الله نفسه^(١) فوق العرش ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال أنه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض قال لأنه أنكر أنه في السماء لأن الله في أعلى عليين وإنه يدعى من أعلى لا من أسفل وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فإن القلوب مغطورة على الاقرار بأن الله في العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل وقد جاء^(٢) اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ باسناد عنه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري الهروي^(٣) في كتاب الفاروق ورواه أيضاً بن^(٤) أبي حاتم أن هشام بن عبيد الله الرازي^(٥) صاحب محمد بن الحسن القاضي الذي حبس رجلاً في التجهم فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام

(١) ن : بنفسه (٢) ي : في (٣) عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٤٨١ هـ .

(٤) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي الإمام بن الإمام المتوفى سنة

٢٩١ هـ . (٥) توفى سنة ٢٢١ هـ أو القاضي صفة له لا لمحمد بن الحسن .

فقال اتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه فقال أشهد أن الله على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه فقال ردوه إلى الحبس فإنه لم يقب وروى أيضاً عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال أن الله على العرش بائن من الخلق^(١) وقد أحاط بكل شيء علماً واحصى كل شيء عدداً . لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي ردي ضليل وهالك . رتاب يمزج الله بخلقه ويخلط منه الذات بالاقذار . والانتان . وروى أيضاً عن ابن المديني^(٢) لما سئل ما قول أهل الجماعة قال يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السموات على العرش استوى فسئل عن قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال اقرأ ما قبلها (ألم ترى أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) وروى أيضاً عن أبي عيسى الترمذي^(٣) قال هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان . وروى عن أبي زرعة الرازي^(٤) إنه لما سئل عن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) فقال تفسيره كما تقرأ هو على العرش وعلمه في كل مكان ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله . وروى أبو القاسم الالكائي الحافظ الطبري صاحب أبي حامد الاسفرائيني في كتابه المشهور في أصول السنة بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال

(١) ن : خلقه .

(٢) هو علي بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري الذي قال فيه : ما استصغرت نفسي أمام أحد غير ابن المديني مات سنة ٢٣٤ هـ .

(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ صاحب الجامع المشهور أحد دواوين السنة الستة توفي سنة ٢٧٩ هـ .

(٤) الإمام حافظ العصر عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي ولاء أبو زرعة الرازي قال البخاري سمعت عبيد الله بن أحمد بن حنبل قال نزل أبو زرعة عندنا فقال لي أبي : يا بني قد اعتضت عن نوافلي بمذكرة هذا الشيخ - مات أبو زرعة في آخر يوم من سنة ٢٦٤ هـ أن من تذكرة الحافظ للذهبي .

اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن افتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه^(١) قد وصفه بصفة لا شيء .

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء . وقد حكى هذا الأجماع وأخبر أن الجهمية تصفه بالامور السلبية غالباً أو دائماً وقوله من غير تفسير أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الأئمة .

وروى البيهقي وغيره باسناد^(٢) صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام . قال هذه الأحاديث التي تقول فيها ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وأن جهنم لا تمتلىء حتى يضع ربك فيها قدمه والسكرى . موضع التقديم وهذه الأحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير أنا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وما أدر كنا أحداً يفسرها .

أبو عبيد^(٣) أحد الأئمة الأربعة الذين هم الشافعي وأحمد واسحق وأبو عبيد

(١) ن : فانه . (٢) ن بأسانيد صحيحة . (٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام العلم قال القاضى أحمد بن كامل كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وعلمه ربانياً متفتناً في أصناف علوم الإسلام من القراءات والفقهاء والعربية والأخبار حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه وقال إبراهيم الحارثي كان أبو عبيد كأنه جبل نسخ فيه الروح يحسن كل شيء الخ . ما أطال ابن خلدون في ترجمته وقال روى الناس من كتبه المصنف بضمه وعشرين كتاباً في القرآن الكريم والحديث وغيره والفقهاء وله الغريب المصنف والأمثال ومعاني الشعر ثم قال ومن تصانيفه أيضاً المقصور والمدود في القراءات والمذكر والمؤنث وكتاب النسب والأحداث وأدب القاضى وعدد أى القرآن والإيمان والتذوق والحجى وكتاب الأموال وغير ذلك رحمه الله اهـ .

وله من المعرفة بالفقة واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والاهواء فقد اخبر أنه ما ادرك أحداً من العلماء يفسرها أى تفسير الجهمية .

وروى الألكائى والبيهقى عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً قال له يا ابا عبد الرحمن إنى اكروه الصفة عن ^(١) صفة الرب فقال له عبد الله بن المبارك : أنا اشد الناس كراهية لذلك ولكن إذا نطق الكتاب بشىء قلنا به وإذا جاءت الآثار بشىء جسرنا عليه - ونحو هذا .

أراد ابن المبارك أننا نكروه أن نفتدىء بوصف الله من ذات أنفسنا حتى يحىء به الكتاب والآثار .

وروى عبد الله بن أحمد وغيره باسناد ^(٢) صحيح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بانه فوق السموات ^(٣) على عرشه بائن من خلقه ، ولا نقول كما تقول الجهمية : أنه ههنا فى الأرض - وهكذا قال الامام أحمد وغيره .
وروى باسناد صحيح عن سلمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون ^(٤) أن يقولوا ليس فى السماء شىء .

وروى ابن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضببى ^(٥) إمام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الإمام أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال : اشر قولاً من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى ، وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش ، وقالوا هم . ليس على شىء .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة أمام الأئمة ^(٦) من لم يقل : أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه ثم اتى على مزبلة لثلاثين ربحه ^(٧) أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم باسناد صحيح

(١) كذا فى العلو للذهبي عنى . (٢) بأسانيد صحيحة . (٣) ن : سمواته

(٤) ن . يجادلون (٥) توفى سنة ٢٠٨ هـ (٦) المتوفى سنة ٢١١ هـ .

(٧) بنتن ربحه .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام الواسطي امام أهل واسط^(١) من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال: كملت بشر الميرسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وعن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور^(٢) أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهنم يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى الله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا.

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن ابن مهدي قال: أصحاب جهنم يريدون أن يقولوا أن الله لم يكلم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وأن الله ليس على العرش. أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا.

وعن الأصمعي^(٣) قال: قدمت امرأة جهنم فنزلت بالدباغين فقال رجل عندها: الله على عرشه فقالت: محدود على محدود وقال الأصمعي: كفرت بهذه المقالة. وعن عاصم بن علي^(٤) بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال: ناظرت جهنميا فتبين من كلامه أن لا يؤمن أن في السماء ربا.

وروى الإمام أحمد قال: أنا سريج بن نعمان قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان.

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر الصديق حق قضاء في السماء^(٥) وجمع عليه قلوب عبادته. وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات - وهذا مثل قول الشافعي.

(١) توفي سنة ١٨٥ هـ . (٢) توفي سنة ١٩٨ هـ . (٣) هو لعبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن أصمع أبو سعيد الباهلي مات سنة ٢١٦ هـ . (٤) توفي سنة ٢٢١ هـ . (٥) ن : سمائه . (٦) ن : نساء

وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استتابة بشر المريسى حتى هرب منه لما انكر الصفات وأظهر قول جهنم قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره .
وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ^(١) الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذى صنفه في أصول السنة قال فيه .

باب الارتفاع بالعرش

قال . « ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله (الرحمن على العرش استوى) وقوله (ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض) الآية فسبحان من بعد وقرب بعلمه فسمع النجوى - وذكر حديث أبي رزبن العقيلي قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال في عما ^(٢) ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء ، قال محمد : العاء السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل - وذكر آثاراً أخر ثم قال : -

باب الارتفاع بالكرسى

قال محمد بن عبد الله « ومن قول أهل السنة أن الكرسى بين يدي العرش وأنه موضع القدمين - ثم ذكر حديث أنس الذى فيه التجلى يوم الجمعة في الآخرة وفيه فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه ثم يحف الكرسى على منابر من ذهب مكللة بالجواهر ثم يحيى النبيون فيجاسون عليها - وذكر ما ذكره يحيى بن سالم صاحب التفسير المشهور : حدثني العلاء بن هلال عن عمار الهذلي عن سعيد ابن

(١) كان في الأصل الدمينى وهو تحريف عن ابن عيسى أو ابن أبي زمنين لأن المذكور هو محمد بن عبد الله بن عيسى أبو عبد الله بن أبي زمنين المرى البيرى القرناطى توفى سنة ٣٩٩ هـ كان في الدياج المذهب لأبن فرحون وسمى جده في الجيوش اجتماع الإسلامية نعيم وهو خطأ . (٢) ن : عماء .

جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أن الكرسي الذى وسع السموات والأرض لموضع القدمين ولا يعلم قدر العرش إلا الذى خلقه - وذكر من حديث أسيد بن موسى ثنا حماد بن سلمه عن زر عن بن مسعود قال : ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه .

ثم قال فى باب الإيمان بالحجب قال : ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب فعمالى الله عما يقول للظالمون علواً كبيراً كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً وذكراً آثاراً فى الحجب .

ثم قال فى (باب الإيمان بالنزول) قال : ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يجدوا فيه حداً وذكر الحديث من طريق مالك وغيره - إلى أن قال وأخبرني وهب^(١) عن ابن وضاح عن الزهري^(٢) عن ابن عباد قال : ومن ادركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل ابن عياض وعيسى^(٣) بن المبارك ووكيم كانوا يقولون إن النزول حق قال ابو وضاح وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال نعم أو من به ولا أحد فيه حداً وسألت عنه ابن معين فقال نعم^(٤) أمر به ولا أحد فيه حداً .

(١) وهو وهب بن مسرة فإنه معدود فى شيوخ ابن أبى زمنين ومن تلامذة محمد بن وضاح وله كتاب فى السنة .

(٢) غير ابن شهاب شيخ مالك وإنما هو أبو مصعب الزهري أحمد ابن أبى بكر القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عوف أخذ عن مالك وعنه ابن وضاح وغيره توفى سنة ٢٤٢ . (٣) ن : أقر .

(٤) كذا فى الأصل ولعله تحريف عن عبد الله أو عن على .

قال محمد ^(١) وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على العرش في السماء دون الأرض وهو أيضاً بين في كتاب الله وفي غير ^(٢) حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) وقال تعالى (أمنتم من في السماء أن يحسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال (وهو القاهر فوق عباده) وقال تعالى (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلی) وقال (بل رفعه الله إليه) .

وذكر ^(٣) من طريق مالك قول النبي للجارية « ابن الله » قالت في السماء قال « من أنا » قالت أنت رسول الله « قال : « فاعتقها » (قال) والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً فسيحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض لا إله إلا هو العلي العظيم .

وقال ^(٤) قبل ذلك في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال ؛ وأعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به انبيأؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً والعجز عن ما يدعو عليه إيماناً وإيهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث أنهى في كتابه على لسان نبيه وقد قال : وهو أصدق القائلين (كل شيء هالك إلا وجهه) قال (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) قال (ويحذركم الله نفسه) وقال (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) وقال (فإنك بأعيننا) وقال (ولتصنع على عيني) وقال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) وقال (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية وقال (إني معكم أسمع وأرى) وقال (وكلم الله موسى تكليماً) وقال تعالى (الله نور السماوات والأرض)

(١) أي ابن عبد الله (ابن أبي زمنين) صاحب كتاب أصول السنة (٢) ن : ما

(٣) أي صاحب كتاب أصول السنة .

(٤) ن : لم يدع وكلاهما لا يخلو من تحريف .

الآية وقال (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) الآية وقال (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ومثل هذا فى القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض كما أخبر . عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ويسمع ويرى ويتكلم هو الأول لا شىء قبله والآخر الباقى إلى غير نهاية ولا شىء بعده والظاهر العالى فوق كل شىء والباطن بطن علمه بخلقه فقال (وهو بكل شىء عليم) قيوم حى لا تأخذه سنة ولا نوم .

وذكر أحاديث الصفات ، ثم قال : فهذه صفات ربنا التى وصف بها نفسه فى كتابه ووصفه بها نبيه وليس فى شىء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير ايس كقله شىء وهو السميع البصير لم تره العيون فتحدده كيف هو ؟ ولكن رأته القلوب فى حقائق الإيمان » ا هـ

وكلام الأئمة فى هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم .

مثل ما ذكره أبو سليمان^(٢) الخطابى فى رسالته المشهورة فى الغنية عن الكلام وأهله قال « فأما ما سألت عنه من الصفات وما منها فى الكتاب والسنة فإن مذهب السلف اثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا فى ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكليف وإنما القصد فى سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين العالى فيه والمقصر عنه والأصل فى هذا أن الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات ويحتذى فى ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوما أن إثبات البارى سبحانه إنما هو إلا إثبات وجود الإثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكليف فإذا قلنا يبدو سمع وبصر وما أشبهها

(١) أى صاحب كتاب أصول السنة .

(٢) حمد بن ابراهيم بن خطاب المتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

فإنما هي صفات أثبتتها الله لنفسه وأسما بقول : أن معنى اليد القوة والنعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدى والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول أن القول إنما وجب بإثبات الصفات لأن التوقف وردبها ووجب نفي التشبيه عنها لأن الله ليس كمثل شيء وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات « هذا كله كلام الخطابي .

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب ^(١) الحافظ في رسالة أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك .

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحواً منه من العلماء من لا يحصى عددهم مثل أبي بكر الإسماعيلي ^(٢) والإمام يحيى ^(٣) بن عمار السجزي وشيخ الإسلام أبي إسماعيل ^(٤) الهروي ومثل أبي عثمان ^(٥) الصابوني شيخ الإسلام وأبي عمر بن عبد البر ^(٦) النمرى إمام المغرب . وغيرهم .

وقال أبو نعيم ^(٧) الاصبهاني صاحب الحلية في عقيدة له قال في أولها، طريقتنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال فما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتوها من غير تكبير ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بأئن من خلقه والخلق بأئنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستوع على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقته .

(١) أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي الشافعي صاحب تاريخ بغداد وغيره المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الأسماعيلي الجرجاني الشافعي المتوفى سنة ٣٧١ هـ .

(٣) توفى سنة ٤٢٢ هـ عن قريب من ٨٠ سنة .

(٤) تقدم ص ٣٨ (٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم

الصابوني الشافعي المتوفى سنة ٤٤٧ هـ (٦) تقدم ص ١٧ .

(٧) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الصوفي الشافعي المتوفى سنة ٣٤٢ هـ .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه محجة الواثقين ومدرجة الوامقين تأليفه
« وأجمعوا أن الله فوق سمواته عال على عرشه مستواً عليه لا مستول عليه كما تقول
الجهمية أنه بكل مكان خلافاً لما نزل في كتابه (أءمنتم من في السماء - إليه
يصعد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) له العرش المستوى عليه
والكرسى الذى وسع السموات والأرض وقوله (وسع كرسیه السموات
والأرض) وكرسيه جسم والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسى
كحفلة في أرض فلاة وليس كرسية علمه كما قالت الجهمية بل يوضع كرسية يوم
القيامة لفصل القضاء بين خلقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى وتقدس
يحيى يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً كما قال تعالى ﴿ وجاء
والملائكة صفاً صفاً ﴾ وزاد ^(١) النبي صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى وتقدس يحيى
يوم القيامة لفصل القضاء بين عبادة فيغفر لمن يشاء من مذنبى الموحدين ويعذب
من يشاء كما قال تعالى ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ .

وقال الإمام العارف معمر ^(٢) بن أحمد الاصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة
الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصى أصحابى بوصية من السنة وموعظة ^(٣) من
الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف وأهل المعرفة والتصوف
من المتقدمين والمتأخرين قال فيها « وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه
ولا تأويل والاستواء معقول والكيف فيه مجهول - وأنه عز وجل بأئن من خلقه
والخلق منه بائون بلا حلول ولا مجازة ولا اختلاط ولا ملاصقة لأنه الفرد البائن
من الخلق ، الواحد الغنى عن الخلق وأن الله عز وجل سميع بصير عليم خبير
يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويفجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً

(١) ن : قال .

(٢) أبو منصور الزاهد شيخ الصوفية في زمانه باصبهان روى عن الطبراني وأبي الشيخ
مات في رمضان سنة ٤١٨ هـ من العلو للذهبي .

(٣) ن : مواعظ .

وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فاستجيب له
هل من مستغفر فأعفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول
الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تناول فهو
مبتدع ضال وسائر الصفوة ^(١) من العارفين على هذا « ١ هـ

وقال الشيخ الامام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ^(٢) في كتاب
السنة حدثنا أبو بكر الأثرم ^(٣) حدثنا ابراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا
الليث بن يحيى قال : سمعت ابراهيم بن الأشعث - قال أبو بكر هو صاحب الفضيل -
قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو ؟ لأن
الله تعالى وصف نفسه فاباغ فقال ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد لم يلد ولم يولد *
ولم يكن له كفوا أحد ﴾ فلا صفة ابلغ مما وصف به نفسه وكل هذا النزول
والضحك وهذه المباحة وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل ، وكما يشاء أن يباهى ،
وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع فليس (لنا) أن نتوهم كيف ، وكيف
فإذا قال الجهمي : أنا أ كفر برب يزول عن مكانه فقل : بل أو من برب يفعل ما يشاء .
ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخاري في أفعال العباد .

ونقل هذا ^(٤) شيخ الاسلام باسناده في كتابه الفاروق فقال حدثنا يحيى بن عمار
حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا حرمي بن علي البخاري وهاني بن النضر
عن الفضيل ^(٥)

وقال عمرو بن عثمان المكي ^(٦) في كتابه الذي سماه التعرف باحوال العباد والمتعبدين

(١) ن : الصوفية (٢، ٢) تقدما ص ١٨ (٣) ن : نقله

(٤) هو أبو اسماعيل الهروي الخنبي تقدم ص ٣٨

(٥) أي كره كما ذكره الخلال .

(٦) قال الذهبي في العلو : كما عمرو هذا من نظراء الجنيد كبير القدر مات قبل الثلاثمائة هـ
وعده صاحب شذرات الذهب في وفيات سنة ٢٩٧ هـ وقال (هو) الزاهد شيخ الصوفية صاحب
التصانيف في الطريق : صحب أبا سعيد الخراز والجنيد ١ هـ وسماه في اجتماع الجيوش الإسلامية
محمداً وأرخ وفاته سنة ٢٩١ هـ فخره .

قال : ماتحابه^(١) الشيطان للقائين وذكر أنه بوقمهم في القنوطم في الغرور وطول الأمل ثم في التوحيد فقال «من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالشكل أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه أو بالجد لها والتمطيل فقال بعد ذكر حديث الوسوسة : (واعلم) رحمك الله ان كما توهمه قلبك أو سنج في مجارى فكرك أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو ضياء أو اشراق^(٢) أو جمال أو سنج^(٣) مسائل أو شخص ممثل فالله تعالى بغير ذلك بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر ألا تسمع لقوله (ليس كمثل شيء) وقوله : (ولم يكن له كفوا أحد) أى لا شبيه ولا نظير ولا مساوى ولا مثل أو لم تعلم أنه لما تجلى للجبل تدككك لعظم هيئته وشامخ سلطانه فكلا لا يتجلى لشيء إلا انك كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك فرد بما بين الله في كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفوران اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تعالى وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال لك : إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فا كذبه لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويفويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائعين الجاحدين لصفة الرب تعالى .

(واعلم) - رحمك الله - تعالى أن الله تعالى واحد لا كالا حاد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - إلى أن قال - خلصت له الأسماء السنوية فكانت واقمة في قديم الأزل بصدق الحقائق لم يتحدث^(٤) تعالى صفة كان منها خليا واسم كان منه بريا ، تبارك وتعالى فكان هاديا سيهدى وخالقا سيخلق ورازقا سيرزق وغافرا سيغفر وفاعلا سيفعل ولم يحدث له الاستواء الا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به في جملة فعله كذلك قال الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) بمعنى أنه سيحيى فلم يستحدث الاسم بالحيى ونخلف الفعل لوقت الحيى فهو جاء

(١) في اجتماع الجيش الاسلامية : (في باب ما يحيى) به وهى أظهر فاهنا محرف لا يظهر معناه . (٢) ن : اشراق . (٣) ن : شبح . (٤) ن : يستحدث

سيجيء ويكون المحي منه موجودا بصفة لا تلتحقه الكيفية ولا التشبيه لأن ذلك فعل الربوبية فيستحسر العقل^(١) وتنقطع النفس عند أرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين ولا معطل ولا مشبه وأرض لله بما رضى به لنفسه وقف عند خبره لنفسه مسالما مستسلما مصدقا بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنفير إلى أن قال «فهو تبارك وتعالى القائل . أنا الله لا الشجرة الجائئ قبل أن يكون جائئا لأمره المتعجلى لأوليائه في المعاد فتبيض به وجوههم وتفلج به بلى الجاحدين حججهم ، المستوى على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تبارك وتعالى الذي كلم موسى تكليما واره من آياته فسمع موسى كلام الله لأنه قر به نجما تقدس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدثا أو مر بوا الوارث بخلقته لخلق السميع لاصواتهم ، الناظر بعينه إلى أجسامهم يدها مبسوطتان وهما غير نعمته خلق آدم ونفخ فيه من روحه - وهو أمره - تعالى وتقدس أن يحل بجسم أو يمازج بجسم أو يلاصق به ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا الشأئى له المشيئة العالم له العلم الباسط يديه بالرحمة النازل كل ليلة إلى سماء (الدنيا) ليقرب إليه خلقه بالعبادة وليرغبوا إليه بالوسيلة القريب في قر به من حبل الوريد ، البعيد في علوه من كل مكان بعيد ولا يشبه بالناس - إلى أن قال «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» القائل «أممتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أممتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا» تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء جل عن ذلك علوا كبيرا» هـ

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن اسماعيل بن أسد المحاسبي^(٢) في كتابه المسمى فهم القرآن قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ ، وأن النسخ لا يجوز في

(١) ن : العقول .

(٢) في تهذيب التهذيب . قيل مات سنة ٣٤٣ هـ .

الأخبار قال . لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء - إلى أن قال : وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة علياً أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب ، وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الأصوات ولا قدرة له ولا يتكلم وولا كلام^(١) كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب انها ناسخة لبعض اخباره كقوله عن فرعون « فلما أدركه العرق قال آمنت » الآيات وقال « حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين » وقال . قد تأول قوم أن الله عني أن ينجيهم ببدنه من النار لأنه آمن عند العرق وقال . إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه وقال « فأوردهم النار » وقال « وحاق بآل فرعون سوء العذاب » ولم يقل بفرعون قال . وهكذا الكذب على الله لأن الله تعالى يقول « فأخذ الله نكال الآخرة الأولى » كذلك قوله « فليعلمن الله الذين صدقوا » فاقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علماء بشيء لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه نجده ضرورة قال « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » قال وإنما قوله « حتى نعلم المجاهدين » إنما يريد حتى نراه فيكون معلوماً وجوداً لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوماً من قبل أن يكون ويعلمه موجوداً كان قد كان فيعلم في وقت واحد معدوماً موجوداً وأن لم يكن وهذا محال - وذكر كلاماً في هذا في الإرادة - إلى أن قال « وكذلك قوله » أنا معكم مستمعون : ليس معناه أن يحدث له سمعاً ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم وقد ذهب قوم من أهل السنة أن الله استمعاً في ذاته فذهبوا

(١) ن : وكالـكلام .

إلى أن ما يعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت وكذلك قوله «وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله» لا يحدث بصراً محدثاً في ذاته وإنما يحدث الشيء فيراه مكوناً كما لم يزل يعلم قبل كونه إلى أن قال . «وكذلك قوله تعالى «وهو القاهر فوق عباده» وقوله «الرحمن على العرش استوى» وقوله «أمنتم من في السماء» وقوله «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» «وقال يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه» وقال «تخرج الملائكة والروح إليه» وقال لعيسى «إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا» الآية وقال «بل رفته الله إليه» وقال «إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته» وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لا بتقوا إلى ذى العرش سبيلاً حيث هو فقال «قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتقوا إلى ذى العرش سبيلاً» أى طلبه وقال «سبح اسم ربك الأعلى» قال أبو عبد الله^(١) فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً كذلك قوله وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله» وقوله «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» وقوله «وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم» وقوله ما يكون من نجومى ثلاثة إلهو رابعهم» الآية فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك.

(وأعلم) أن هذه الآيات ليس معناها أن الله اراد الكون بذاته فيكون فى اسفل الأشياء او ينتقل فيها لانتقالها ويتبعض فيها على اقدرها ويزول عنها عند فناءها جل وعز عن ذلك وقد نزع بذلك بعض اهل الضلال فزعموا ان الله فى كل مكان بنفسه كماثفا كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك ثم أحالوا فى التثنية

(١) أى المحاسبي .

بعد تثبت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه لأن كل من يثبت شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول لم يقن عنه نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائناً ثم نفوا معنى ما أثبتوا فقالوا : لا كالشيء في الشيء .

قال « أبو عبدالله ^(١) لنا قوله « حتى نعلم - وسيرى الله - وإنا معكم مستمعون » فإما معناه حتى يكون الوجود فيعلمه موجوداً ويسمعه مسموعاً وبصره مبصراً لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر ، وأما قوله « إذا أردنا » إذا جاء وقت كون المراد فيه وان قوله « على العرش استوى » « وهو القاهر فوق عباده » الآية « أئمنتم من في السماء » « إذا لا بتقوا إلى ذي العرش سبيلاً » فهذا وغيره مثل قوله « تعرج الملائكة والروح إليه » « إليه يصعد الكلم الطيب » هذا منقطع يوجب انه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزّه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه ابان في هذه الآيات انه اراد انه بنفسه فوق عباده لأنه قال « أئمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض » يعني فوق العرش ، والعرش على السماء لان من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء وقد قال مثل ذلك في قوله (فسبحوا في الأرض) يعني على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله « يتسبون في الأرض » يعني على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله « لأصلبكم في جذوع النخل » يعني فوقها عليها وقال « أئمنتم من في السماء » ثم فصل فقال « ان يخسف بكم الأرض » ولم يصل فلم يكن لذلك معنى إذا فصل قوله « من في السماء » ثم استأنف التخويف بالخسف إلا انه على عرشه فوق السماء وقال تعالى « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه » وقال « تعرج الملائكة والروح إليه » فبين عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع

صاعدة إليه فقال « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فقال صعودها إليه .
وفصله من قوله إليه كقول القائل أصدد إلى فلان في ليلة أو يوم وذلك أنه في العلو
وأن صعودك إليه في يوم فإذا صعودوا إلى العرش فقد صعودوا إلى الله عز وجل ،
وأن كانوا لم يروه ولم يساوه في الارتفاع في علوه فإنهم صعودوا من الأرض وخرجوا
بالأمر إلى العلو قال تعالى « بل رفعه الله إليه » ولم يقل عنده وقال فرعون
« يا هامان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطاع إلى إله موسى »
ثم استأنف الكلام فقال « وإني لأظنه كاذباً » فيما قال لي أن إلهه ^(١) فوق
السموات فبين الله سبحانه وتعالى أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال
وعمد ^(١) لطلبه حيث قاله مع الظن بموسى أنه كاذب ولو أن موسى قال أنه كاذب
ولو أن موسى قال أنه في كل مكان بذاته لطلبه في بيته أوفى بدنه أو حشه فتعالى
الله عن ذلك ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح .

قال أبو عبد الله ^(٢) وأما الآي التي يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها كإقطع
الكلام الذي أراد به أنه على عرشه فقال « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات
وما في الأرض » فاخبر بالعلم ثم أخبر أنه مع كل مناج ثم ختم بالعلم بقوله « إن الله
بكل شيء عليم » فبدأ بالعلم وختم بالعلم فبين أنه أراد أن يعلمهم حيث كانوا لا يخفون
عليه ولا يخفي عليه مناجاتهم ولو اجتمع القوم في أسفل ، وناظر إليهم في العلو
فقال : إني لم أزل أراكم واعلم مناجاتكم لكان صادقاً والله المثل الأعلى أن يشبه
الخلق ، فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا : هذا منكم دعوى خرجوا عن قولهم
في ظاهر التلاوة لأن من هو مع الإثنين فأكثر ، هو معهم لا فيهم ومن كان مع
شيء خلا جسمه ، وهذا خروج من قولهم وكذلك قوله تعالى « ونحن أقرب إليه
من حبل الوريد ، لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء ، ففي ظاهر التلاوة على

(١) ن : وعد . (٢) أي المحاسبي .

دعوهم أنه ليس في جبل الوريد وكذلك قوله ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ لم يقل في السماء ثم قطع كما قال ﴿ أم منتم من في السماء ﴾ ثم قطع فقال ﴿ أن يحسف بكم الأرض ﴾ فقال ﴿ وهو الذي في السماء إله ﴾ يعني إله أهل السماء وإله أهل الأرض وذلك موجود في اللغة تقول : فلان أمير في خراسان ، وأمير في بلخ ، وأمير في سمرقند وإنما هو في موضع واحد ويخفى عليه ما وراء فكيف العالی فوق الأشياء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إله فيهما إذ كان مدبراً لهما وهو على عرشه وفي كل شيء تعالى عن الأشياء والأمثال « ١٠٠ » .

وقال الإمام ^(١) أبو عبد الله محمد بن خفيف ^(٢) في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات قال في آخر خطبته فانفتحت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولاً واحداً وشرعاً ظاهراً وهم الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك حتى قال « عليكم بسنتي » « وذكر الحديث ^(٣) وحديث لعن الله من أحدث حدثاً قال فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف وهم الذين أمرنا بالأخذ

(١) الشيرازي شيخ إقليم فارس، صاحب الأحوال والمقامات المتمسك بالكتاب والسنة الفقية على مذهب الشافعي كان من أولاد الأمراء فترهد توفي في رمضان سنة ٣٧١ هـ من شذرات الذهب .

(٢) في الأصل حنيف وهو خطأ .

(٣) يعني حديث العرياض بن سارية وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وحلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وأن تأمر بغيركم عبداً وأن تأمر بغيركم فسرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومضلات الفتن فإن كل بدعة ضلالة » قال في الترغيب والترهيب في باب الترغيب في اتباع الكتاب والسنة رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حسن صحيح اهـ .

عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع ، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا كما نقل سائر الاختلاف فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر - والله المنه .

« ثم إنى قائل - وبالله أقول - أنه لما اختلفوا ^(١) في أحكام التوحيد وذكر الاسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين ففاضوا في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار وصار معلوم على أحكام هوى حسن النفس المستخرجة من سوء الظن به على مخالفة السنة والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس ^(٢) فتأولوا على ما وافق هواهم وصححوا بذلك مذهبهم احتجت ^(٣) إلى الكشف عن صفة المتقدمين ومأخذ المؤمنين ومنهاج الأولين خوفاً من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه ^(٤) ومنع المستجيبين له حتى حذرهم .

ثم ذكر : أبو عبد الله ^(٥) خروج النبي صلى الله عليه وسلم وهم يتنازعون في القدر وغضبه وحديث لا ألفين أحدكم ^(٦) وحديث سئفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فإن ^(٧) الناجية ما كان عليه هو وأصحابه ^(٨) ثم قال فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة

(١) ن : أحدثو

(٢) ن : بحذف ما وافق وعلى كل في الكلام نقص أو تحريف

(٣) جواب لما اختلفوا (٤) ن : أمته (٥) يعني ابن خفيف

(٦) يعني حديث أبي رافع مرفوعاً « لا ألفين أحدكم منكثاً على أريكته يأتيه الأمر من

أمرى - مما أمرت به أو نهيت عنه - فيقول لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي في دلائل النبوة قاله في المشكاة .

(٧) ن : وأن . (٨) تقدم ص ١٣ .

ولم يسكون الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان ، المعروفين بنقل الأخبار
من لا يقبل المذاهب الحديثة ، فيتصل ذلك قرناً بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة
والأمانة المحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة إلى أن قال -

« فأول ما ابتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر أسماء الله عز وجل
في كتابه وما بين صلى الله عليه وسلم من صفاته في سنته وما وصف به عز وجل مما
سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا
بطلب الكيفية بذلك وما قد أمرنا بالاستسلام له - إلى أن قال :

« ثم ان الله تعرف إلينا بعد إثبات الوجدانيه والإقرار بالألوهية ان ذكر
تعالى في كتابه بعد التحقيق بما بدأ من أسمائه وصفاته وأكد عليه السلام بقوله
فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله إلى أن قال
بإثبات نفسه بالتفصيل من الجمل فقال : لموسى عليه السلام (واصطنعتك لنفسى
وقال (ويحذركم الله نفسه) ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام
فقال (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) وقال عز وجل (كتب ربكم على
نفسه الرحمة) وأكد عليه السلام صحة إثبات ذلك فى سنته فقال : « يقول الله
عز وجل : من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » : وقال : كتب كتاباً بيده على
نفسه « إن رحمتى غلبت غضبى » وقال سبحانه الله رضى نفسه « وقال فى محاجة
آدم لموسى « انت الذى اصطفاك الله واصطنعتك لنفسه ، فقد صح بظاهر قوله إنه
أثبت لنفسه نفساً وأثبت له الرسول ذلك فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد
ما أخبر به عن نفسه ويكون ذلك مبنياً على ظاهر قوله ﴿ ليس كمثل شئ ﴾ .

ثم قال « فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ماورد عنه عليه السلام بنقل
العدل عن العدل حتى يتصل به صلى الله عليه وسلم وإن مما قضى الله علينا فى كتابه

ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال «الله نور السموات والأرض»
ثم قال عقيب ذلك «نور على نور» وبذلك دعاه صلى الله عليه وسلم «أنت نور
السموات والأرض» ثم ذكر حديث أبي موسى «حجابه النور - أو النار -
لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» وقال : سبحات
وجهه جلاله ونوره ، نقله عن الخليل وأبي عبيد - وقال «عبد الله ابن مسعود :
نور السموات نور وجهه .

ثم قال : ^(١) «ومما ورد به النص أنه حى وذكر قوله تعالى «الله لا إله إلا هو
الحى القيوم» والحديث «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث» قال : ومما تعرف الله
إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهها موصوفا بالجلال والأكرام فاثبت لنفسه
وجهها - وذكر ^(١) الآيات .

ثم ذكر ^(١) حديث أبي موسى المتقدم فقال فى هذا الحديث من أوصاف الله
عز وجل لا ينام موافق لظاهر الكتاب «لا تأخذه سنة ولا نوم» وأن له وجهها
موصوفا بالأنوار ، وأن له بصرا كما علمنا فى كتابه أنه سميع بصير - ثم ذكر ^(١)
الأحاديث فى اثبات الوجه وفى اثبات مع السمع والبصر والآيات الدالة على ذلك -
ثم قال ^(١) : «ثم أن الله تعالى تعرف إلى عباده المؤمنين أن قال له يدان قد بسطهما
بالرحمة وذكر الأحاديث فى ذلك ثم ذكر ^(١) شعر امية ^(٢) بن أبي الصلت ثم
ذكر ^(١) حديث «يلقى فى النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله» وهى
رواية البخارى وفى رواية أخرى يضع عليها قدمه ^(٣) ثم مارواه مسلم البطين عن
عن ابن عباس . أن السكرسى موضع القدمين وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله؟
وذكر ^(١) قول مسلم البطين نفسه وقول السدى وقول وهب بن منبه وأبى مالك
وبعضهم يقول : موضع قدميه و بعضهم يقول واضع رجله عليه .

(١) ابن خفيف . (٢) تقدم ص ٩ . (٣) الروايتان فى تفسير سورة ق من

صحيح البخارى .

ثم قال « فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم متداولة في الأقوال ومحفوظة في الصدر ولا ينكر خلف عن السلف ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم ، نقلها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم إلى أن حدث في آخر الأمة من قتل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجالستهم ومكالمتهم وأمرنا أن لا نعود مرضاهم ولا نشيع حنائزهم فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام المقاييس وكفر المتقدمين وأنكروا على الصحابة والتابعين وردوا على الأمة فضلوا واضلوا عن سواء السبيل .

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحروري ثم حديث الصورة وذكر^(١) أنه صنف فيه كتابا مفردا واختلاف الناس في تأويله ثم قال « وسنذكر أصول السنة وماورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ وماوافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله ثم ذكر^(١) اختلاف في الامامة واحتج عليها وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق وأنه أفضل الأمة ثم قال^(١) « وكان الاختلاف في خلق الأفعال هل هي مقدره أم لا ؟ قال^(١) « وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدره معلومة وذكر^(١) اثبات القدر ثم ذكر^(١) اختلاف في أهل الكبائر ومسألة الاسماء والأحكام وقال^(١) « قولنا فيها أنهم مؤمنون على الإطلاق وأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم وقال « اصل الايمان موهبة يتولد منها أفعال العباد فيكون أصل التصديق والاقرار والأعمال وذكر^(١) اختلاف في زيادة الايمان ونقصانه وقال^(١) « قولنا أنه يزيد وينقص قول^(١) « ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقا وغير مخلوق فقولنا وقول أئمتنا أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه صفة الله منه بدأ قولنا وإليه يعود حكما ثم ذكر : الخلاف في الرؤية وقال : « قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يرى في القيامة وذكر^(١) الحجة .

(١) أي ابن حنبل .

ثم قال ^(١): اعلم رحمك الله أنى ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب
الحدثين فى كل الأزمنة وقد بدأت أن أذكر أحكام الجدل من العقود فتقول
« ونعتقد أن الله عز وجل له عرش وهو على عرشه فوق سبع سمواته بكل
أسمائه وصفاته كما قال (الرحمن على العرش استوى - يدبر الأمر من السماء إلى
الأرض) ولا نقول أنه فى الأرض كما هو فى السماء على عرشه لأنه عالم بماجرى
على عبادته ثم يعرج إليه - إلى أن قول ^(٢) « ونعتقد أن الله تعالى خلق الجنة والنار
وانهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء - إلى أن قال « ونعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم
عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى - إلى أن قال « ونعتقد أن الله قبض قبضتين
فقال : هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار « ونعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم حوضاً
ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع وذكر الصراط والميزان والموت ، وأن المقتول
قتل بأجله واستوفى رزقه .

إلى أن قال . « وما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فى ثلث الليل
الآخر فيبسط يده فيقول «ألا هل من سائل» الحديث ^(٣) وليلة من شعبان وعشيه
عرفة وذكر الحديث ^(٤) فى ذلك - قال « ونعتقد أن الله تعالى كلم موسى - كما
واتخذ إبراهيم خليلاً وأن الخلة غير الفقر لا كما قال أهل البدع ونعتقد أن الله تعالى
خص محمداً صلى الله عليه وسلم بالرؤية واتخذ خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ونعتقد
أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله (إن الله عنده علم
الساعة) الآية ونعتقد المسح على الخفين ثلاثاً للمسافر ، ويوما ، وليلة للمقيم ونعتقد
الصبر على السلطان من قريش ما كان من جور أو عدل ما أقام الصلاة من الجمع
والأعياد ؛ والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة والصلاة فى الجماعة حيث ينادى لها
واجب إذا لم يكن عذراً أو مانعاً والتراويح سنة ونشهد أن من ترك الصلاة عمد فهو

(١) أى ابن حنبل (٢) وهو صحيح البخارى - فى مواضع - منها فى قيام الليل
والتهدج وفى الأدعية وغيرها (٣) ذكر المنذرى أحاديثهما فى فضل شعبان وليلة نصفه
ص ٨٠ ج ٢ وفى الترغيب فى الوقوف بعرفة ص ١٢٦ ج ٢ طبعه منير .

كافر والشهادة والبراءة بدعة والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ولا نزل
أحدا جنة ولا ناراً حتى يكون الله ينزلهم والمرء والجدال في الدين بدعة ونعمتقد أن
ماشجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم إلى الله وترحم على عائشة
وتترضى عنها والقول في اللفظ والمفهوم وكذلك في الاسم والمسمى بدعة والقول في
الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة .

« واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ماورد عن الصحابة والتابعين
بجملا من غير استقصاء إذ تقدم القول من مشائخنا المعروفين من أهل الابانة
والديانة إلا أني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة^(١) فيما أحدثته طائفة
نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك إلى
أن قال^(٢) وقرأت لحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه التبصير كتب بذلك
إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم وسألوه أن يصنف لهم ما يمتدحه ويذهب
إليه فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى فذكر عن طائفة إثبات
الرؤية في الدنيا والآخرة ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة
فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال الخالصين منهم وكان من نسب إليه ذلك القول
بعد أن ادعى على الطائفة ابن أخت^(٣) عبد الواحد بن زيد^(٤) - والله أعلم بحله
عند الخالصين فكيف بابن أخته وأيس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى
الجملة ، كذلك في الفقهاء والحديثين ليس من أحدث قولاً في الفقه وليس فيه حديث
يناسب ذلك ، ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والحديثين .

واعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تخلف فيطلقون ألقابهم على موضوعات لهم
ومر موزات وإشارات تجرى فيما بينهم فمن لم يدخلهم على التحقيق ونازل ما هم
عليه رجع عنهم وهو خاسيء وحسير .

ثم ذكر^(٥) اطلاقهم لفظ الرؤية بالتمهيد فقال كثيراً ما يقولون رأيت الله يقول

(١) ن : المتصوفة (٢) أي ابن خفيف (٣) ن : اخته وهي خطأ ، ون :
ثم من كان بعد ما ادعى نسبة إلى ابن أخت . (٤) البصرى الزاهد شيخ الصوفية
كان ممن ادرك الحسن واحذغنه له ترجمة في الميزان ولسانه فيها جرحه واعديله فراجعها
إلى شئت . (٥) ابن خفيف .

وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حين عبدته قال رأيت الله
ثم عبدته فقال السائل كيف رأيتته فقال لم تره الأبصار^(١) بتحديد الأعيان ولكن
رؤية القلوب بتحقيق الأيقان ثم قال : « وإنه تعالى يرى في الآخرة كما أخبر في
كتابه وذكر مرسله صلى الله عليه وسلم ، هذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة
فيها ، وإن مما نعتقده أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم وذكر
ذلك في حجة الوداع فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين
إلا المضطر على حال يلزمه إحياء النفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات فذلك كفر
بالله وقائل ذلك قائل بالاباحة وهم المنسلخون من الديانة وأن مما نعتقده ترك اطلاق
تسمية العشق على الله تعالى وبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه ولعدم ورود الشرع به
وقال أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية وأن مما نعتقده
أن الله لا يحل في المرئيات وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته بأثن من خلقه مستو
على عرشه وأن القرآن كلامه غير مخلوق حيث ما تلى ودرس وحفظ ، ونعتقد أن
الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً واتخذ نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خليلاً وحبيباً والخلة
لها منه على خلاف ما قاله المعتزلة أن الخلة للفقر والحاجة - إلى أن قال :

« والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما ولا تدخل أوصافه تحت
التكليف والتشبيه ، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها التكليف فأما
صفاته تعالى فمعلومة في العلم ، وموجودة في التعريف قد انتفى عنهما التشبيه فالإيمان
به واجب وجسم الكيفية عن ذلك ساقط .

« ومما نعتقده أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات وإنما حرم
الله الغش والظلم وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال ومضل مبتدع
إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء ، وإنما حرم الله
ورسوله الفساد لا الكسب والتجارات فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز

إلى يوم القيامة وأن مما نعتقده أن الله (لا) يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات ، لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة ؛ والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع لأنه مفقود من الأرض ومما نعتقده أنا إذا رأينا من ظاهر جميل لا نهمه في مكسبه وماله وطعامه ؛ جائز أن يؤكل طعامه ، والمعاملة في تجارته فليس علينا الكشف عما قاله ^(١) فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز إلا من داخل الظلمة « ومن ينزع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك فالسؤال والتوقى كما سأل الصديق غلامه فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطاً فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام إلا أنه مشتبه فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق وأجاز أن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة ، والناس طبقات والدين الحنيفية سمحة .

وأن مما نعتقد أن العبد مادام أحكام الدار جارية (عليه) فلا يسقط عنه الخوف والرجاء وكل من ادعى إلا من فهو جاهل بالله وبما أخبر به عن نفسه (ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك ، ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه يمين على أحكام القوة والاستطاعة إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية باسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المسدية بعلائق الأخوية فهو كافر لا محالة إلى من اعتراه علة أو رافة فصار معتوهاً أو مجنوناً أو مبرسماً وقد اختلط عقله أو لحقه غشية ارتفع عنه بها أحكام العقل وذهب عنه التمييز والمعرفة فذلك خارج عن الملة مفارق للشرعية ، ومن زعم الأشراف على الخلق بعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الملة ، ومن ادعى أنه يعرف

(١) ن : أن ماله (٢) ن : بعلائق .

مآل الخلق ومقلبهم وعلى ماذا يموتون عليه ويحتم لهم بغير الوحي من قول الله
 وقول رسوله فقد باء بغضب من الله . والفراصة حق على أصول ما ذكرناه وليس
 ذلك مما رسمناه في شيء ، ومن زعم أن صفاته تعالى بصفاته ويشير في ذلك إلى غير
 آية العظمة والتوفيق والهداية وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة فهو حلول إلى قائل
 باللاهوتية^(١) والإلتحام^(٢) وذلك كفر لاحالة وتعقد أن الأرواح كلها مخلوقة ومن
 قال أنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح وذلك كفر
 بالله العظيم : ومن قال إن شيئاً من صفات الله حال في العبد وقال^(٣) بالتبويض
 على الله فقد كفر ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق ، وأنه كيفما
 ماتلى وقرىء وحفظ فهو صفة الله عز وجل وليس الدرس من المدرس ولا التلاوة
 من المتلو لأنه عز وجل بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق ، ومن قال بغير ذلك فهو
 كافر ، ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة ، وأن القصائد بدعة ومجرها على
 قسمين فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه وإظهار نعمت^(٤) الصالحين وصفة
 المتقين فذلك جائز وتركه والإشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به ، وما جرى
 على الوصف المرثيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك كفر وإستماع الغناء والربيعيات^(٥)
 على الله كفر والرقص بالالقاع ونعت الرقاصين (على) أحكام الدين فسق ، وعلى
 أحكام التواجد والغناء لهو ولعب ، وحرام على كل من يسمع القصائد والربيعيات^(٦)
 الملحنة^(٧) الجأى بين أهل الأطبائع على أحكام الذكر إلا لمن تقدم له العلم
 بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك ما لا
 يليق به عز وجل مما هو منزه عنه فيكون استماعه كما قال (الذين يستمعون
 القول فيتبعون أحسنه) الآية ، وكل من جهل ذلك وقصد إستماعه على الله على
 غير تفصيله فهو كفر لا محالة فكل من جمع القول وأضفى بالإضافة إلى الله فغير
 جائز إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه وما هو موصوف به عز وجل

(١) ن : بالاهومية (٢) ن : والتخام (٣) في التبويض . (٤) نعمة .

(٥ ، ٦) الربيعيات (٧) النحة .

مما ليس للمخلوقين فيه نعمت ولا وصف بل ترك ذلك أولى وأحوط والأصل في ذلك أنها بدعة والفتنة فيها غير مأمونة على استماع الغناء والربيعيات بدعة وذلك مما انكره المطلبي^(١) ومالك والثوري وي زيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق والإقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين ولا لهم قدم عند المخلصين ، وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث^(٢) أن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد قال مثل ايش؟ قال مثل قوله *اصبري^(٣) يا نفس حتى تسكني دار الجليل * فقال حسن وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال قلت بيغداد فقال : كذبوا ، والله الذي لا إله غيره لا يسكن بيغداد من يستمع ذلك قال^(٤) أبو عبد الله ومما تقول وهو قول أمتنا أن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى ، فن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ أحدكم حبله» الحديث^(٥) ونقول أن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والإستغناء عما في أيدي الناس ؛ ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح فهو مذموم في الحقيقة خارج^(٦) ونقول أن^(٧) المستمع إلى الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال عليه السلام « الغناء ينبت النفاق في القلب » وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة والذي نختار قول أمتنا أن ترك المرء في الدين والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ومن زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم واسط يؤدي وأن المرسل إليهم أفضل فهو كافر بالله ومن قال باسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر اه^(٨) .

ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجليلاني^(٩) قال في كتاب الغنيمية . أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار

(١) أي الشافعي (٢) المعروف بالخافي أحد رجال الطريقة المتوفى سنة ٢٢٦ هـ .
 (٣) ن : اخبري (٤) أي ابن خفيف (٥) تمامه : فيأتي بجزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيسكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منموه « رواه البخاري في باب كسب الرجل وعمله بيده من كتاب البيوع في صحيحه .
 (٦) يعني عن طريقة الصوفية (٧) ن : إذ (٨) أي كلام ابن خفيف .
 (٩) قال الذهبي في العلو : شيخ الإسلام سيد الوعاظ توفى سنة ٥٦١ هـ .

فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد - إلى أن قال^(١) : وهو بجهة العلوم مستوفى على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياء « إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال أنه في السماء على العرش كما قال « الرحمن على العرش استوى » وذكر^(٢) آيات وأحاديث إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الإستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش قال: وكونه على العرش المذكور في كل كتاب أنزله على كل نبي أرسل بلا كيف وذكر^(٣) كلاماً طويلاً لا يحتمله هذا الموضع وذكر^(٤) في سائر الصفات نحو هذا.

ولو ذكرت ما قاله العلماء في ذلك لطال الكتاب جداً .

قال أبو عمر بن عبد البر : روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري . سفيان ابن عيينة والأوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: امرؤها كما جاءت ؛ قال أبو عمر : ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أوجاء عن أصحابه رضی الله عنهم فهو علم يدان به ؛ وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة ، وقال في شرح الموطأ لما تكلم على شرح حديث النزول قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد ولا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق^(٥) سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش استوى من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجبتهم على المعتزلة في قولهم : أن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة قال : والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول الله - وذكر بعض الآيات - إلى أن قال : وهذا

(١) (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) أي الجيلاني .

(٥) طريق شواهد .

أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوافقهم عليه أحد ولا انكره عليهم مسلم .

قال أبو عمر بن عبد البر أيضاً : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله « ما يكون من نجومى ثلاثة إلا هو رابعهم ، هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله .

وقال أبو عمر أيضاً « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك ولا يجدون فيه صفة محصورة - وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعم أن من أقربها مشبه وهم عند من أقربها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة .

فهذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب

وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع تولية المتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم قال في كتاب الأسماء والصفات (باب) ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال تعالى « يا إبليس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي » وقال « بل يدها مبسوطتان » وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث ، في حديث الشفاعة « يا آدم أنت أبو البشر خلقتك الله بيده » ومثل قوله في الحديث المتفق عليه « أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده ، وفي لفظ ، وكتب لك التوراة بيده » ومثل ما في صحيح مسلم « وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده » ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته

سفرة نزلا لأهل الجنة^(١) « وذكر أحاديث مثل قوله « بيدي الأمر » « والخير في^(٢) يدك » « والذي نفس محمد بيده » و « أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » وقوله « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين » وقوله « يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » وقوله « يمين الله ملائى لا يعيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما انفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يعض ما فى يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع » وكل هذه الأحاديث فى الصحاح وذكر أيضا قوله « أن الله لما خلق آدم قال له ويداها قبوضتان اخترأيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدي ربى يمين مباركة » وحديث « أن الله لما خلق آدم مسح على ظهره » إلى أحاديث أخرى ذكرها من هذا النوع

نم قال البيهقى : أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار فى هذا الباب وكذلك قال فى الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين :

وقال القاضى أبو يعلى^(٣) فى كتاب إبطال التأويل لا يجوزرد هذه الأخبار ولا للتشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبهه (صفات) سائر الموصوفين بها من سائر الخلق ولا يمتقد التشبيه فيها لسكن على ماروى عن الإمام أحمد وسائر الأئمة - وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى

(١) رواه البخارى فى باب يقبض الله الأرض من كتاب الرقاق من صحيحه .
 (٢) بيدك . (٣) عالم العراق أبو يعلى محمد الحسين بن الفراء البغدادى الحنبلى
 كان آية فى معرفة مذهب الإمام أحمد صنف التصانيف القائمة توفى سنة ٤٥٨ هـ من
 علو للذهبي .

والأوزاعي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عينية والفضيل بن عياض
ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وأسود بن سالم وإسحاق بن راهوية وأبي عبيد ومحمد
بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب - وفي حكاية الفاظهم طول - إلى أن قال
ويدل على ابطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها
ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها فلو كان التأويل سائفا لكانوا
أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة .

وقال أبو الحسن علي ابن اسماعيل الأشعري^(١) المتكلم صاحب الطريقة النسوية
إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ، ومقالات الإسلاميين -
وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة^(٢) وغيرهم ثم قال (مقالة أهل
السنة وأصحاب الحديث جملة) قول أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله
وملائكته وكتبه ورسوله وبما جاء عن الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يردون شيئا من ذلك ، وأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله
غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق
وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله على عرشه
كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت
بيدي) وكما قال (بل يدها مبسوطتان) وأن له عينين بلا كيف كما قال
(تجرى بأعيننا) - وأن له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام) وأن أسماء الله تعالى لا يقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج
وقروا أن الله علما كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى
ولا تضع إلا بعلمه) وأثبتوا له السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما
نفته المعتزلة وأثبتوا الله القوة كما قال (أولم يروا أن الله الذي خالقهم هو أشد

(٢) يأتي بيانهم ص ٧٢ .

(١) توفي سنة ٣٢٤ هـ .

منهم قوة ﴿ وذكر مذهبهم في القدر - إلى أن قال ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف ، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقولون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون قال عز وجل (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء - إلى أن قال : ويقولون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبراء بالنار - إلى أن قال « وينفكرون الجدل والمرافى الدين والخصومة والمناظرة فيما ينظرون فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ويسلمون الروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاء بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولون كيف ولا لم لأن ذلك بدعة - إلى أن قال : ويقولون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) - إلى أن قال ويرون مجانبية كل داع إلى بدعة ومتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف ، وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشرب قال « فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون إليه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان » .

وقال الأشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش فقال « قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه استوى على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا تتقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وأن له وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)

وأن له يدين كما قال (خلقت بيدي) وأن له عيين كما قال (تجرى بأعيننا) وأنه يحىء يوم القيامة هو وملائكته كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى استولى وذكر مقالات آخر.

وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الأبانة في أصول الديانة - وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه - فقال: (فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة) فإن قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة^(١) والقدرية^(٢) والجهمية^(٣) والحرورية^(٤) والرافضة^(٥) والمرجئة^(٦) فعرّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون (قيل له) قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيف الزائعين وشك الشاكين فرحمه الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم .

(١) فرقة من المبتدعة تنكر صفات الله ورؤيته .

(٢) من ينكرون القدر ويقولون الأمر أنف .

(٣) أتباع جهم ينكرون صفات الله .

(٤) هم الخوارج منسوبون إلى حروراء حل بالعراق اعتصموا به لما خرجوا على علي رضي الله عنه .

(٥) الرافضة هم الشيعة سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي بن الحسين لما تولى أبا بكر وعمر

(٦) المرجئة هم من لا يدخل العمل في الإيمان بل الإيمان عندهم هو التصديق ، فقط ويقولون لا تضمر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

جواد

نفي تصوير

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله
وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئاً ؛
وأن الله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ؛ وأن محمداً عبده
ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأن الجنة حق ، والنار
حق ، وأن الساعة آتية ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله مستو على عرشه
كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والإكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت يدي)
وكما قال (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وأن له عينين بلا كيف كما
قال (تجرى بأعيننا) — وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً ، وذكر
نحو مما ذكر في الفرق إلى أن قال « ونقول أن الإسلام أوسع من الإيمان وليس
كل إسلام إيماناً ، وندين بأن الله يقرب بين القلوب أصبعين من أصابع الله عز وجل
وأنه عز وجل يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية
الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) - إلى أن قال : وأن الإيمان قول
وعمل يزيد وينقص ونسلم بالروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم -
إلى أن قال ونصدق بجميع الروايات التي أثبتتها أهل النقل من النزول إلى سماء
الدنيا وأن الرب عز وجل « يقول هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ » وسائر
ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب
ربنا ، وسنة نبينا ، وإجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله ما لم
يأذن لنا به ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول أن الله يحيى يوم القيامة كما قال
(وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وأن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال

(١) تقدم لفظها وتخرجها في حاشية ص ٢٧ .

(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) .

إلى أن قال « وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقى مما لم نذكره بابا بابا »

ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال لا أقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه .

ثم قال : (باب ذكر الاستواء على العرش) فقال إن قال قائل ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له : نقول أن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) قال تعالى (بل رفعه الله إليه) وقال تعالى (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) وقال تعالى حكاية عن فرعون (يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) كذب موسى في قوله إن الله فوق السموات ، وقال تعالى (أؤمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال (أؤمنتم من فى السماء) لأنه مستوى على العرش الذى هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء فالعرش أعلى السموات وليس إذا قال (أؤمنتم من فى السماء) يعنى جميع السماء وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السموات ، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال تعالى (وجعل القمر فىهن نورا) فلم يرد أن القمر يملأهن وأنه فىهن جميعاً ، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله على العرش الذى هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش فيما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض .

ثم قال ^(١) (فصل) وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية أن معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أنه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الإستواء إلى القدرة ، فلو كان كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الأستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأفذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستول على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الأستواء على العرش الأستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الأستواء يختص العرش دون الأشياء كلها وذكر ^(١) دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل .

ثم قال : (باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين) وذكر الآيات على ذلك ورد المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضوع لحكايته مثل قوله فإن سئلتنا أتقولون لله يدان ؟ (قيل) نقول ذلك وقد دل عليه قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى (لما خلقت بيدي) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله مسح ظهر آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده» وقد جاء في الخبر المذكور عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده ، ولا يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويريد بها النعمة وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يحصر مفهومها في كلامها ومعقولا في خطابها

(١) يعني الأشعري .

وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعني بها
النعمة بطل أن يكون معنى قوله تعالى (بيدي) النعمة وذكر كلاماً طويلاً في
تقرير هذا ونحوه .

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي^(١) المتكلم وهو أفضل
المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم شبهه لا قبله ولا بعده قال في كتاب
الإبانة تصنيفه « فإن قال فما الدليل على أن الله وجهاً وبدأ ؟ قيل له قوله (ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدي) فأثبت لنفسه وجهاً وبدأ (فإن قال) فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده
جارحة ؟ إن كنتم لا تعقلون وجهاً وبدأ إلا جارحة (قلنا) لا يجب هذا كما
لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضى نحن وأنتم بذلك على الله
سبحانه وتعالى ، وكما لا يجب في كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهرراً لأننا
وإياكم لا نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك ، وكذلك الجواب لهم أن قالوا
فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضاً واعتلوا بالوجود .

وقال « فإن قال فهل تقولون أنه في كل مكان ؟ (قيل له :) معاذ الله بل
مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال (الرحمن على العرش استوى) وقال الله
تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال (أعدمتهم من في السماء
أن يخسف بهم الأرض فإذا هي تمور) قال : ولو كان في كل مكان لكان في بطن
الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ولوجب أن يزيد
بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ،
ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا وهذا قد
أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله .

(١) توفي سنة ٤٠٣ هـ له ترجمة طويلة في تاريخ ابن خلكان فراجعها إن شئت .

وقال ^(١) أيضاً في هذا الكتاب : صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها وهي الحياة ، والعلم ، والقدرة والسمع ، والبصر ، والكلام ، والأرادة ، والبقاء ، والوجه والعينان ، واليدين والغضب والرضاء .

وقال في كتاب التمهيد ^(٢) كلاماً أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام .

وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيماناً بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين ^(٣) ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء ولكن كثيراً من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين ومحسناً للظن بهم دون غيرهم ومتوهماً أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ما تبهها حتى يوثق بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم ، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرجى لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة ثم لا يمسك بما جاءت به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين) فإن اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا قال الله تعالى لهم (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ، يقول سبحانه وتعالى لا لما جاءكم به أنبياءكم تتبعون ، ولا لما جاءكم به سائر الأنبياء تتبعون ولكن إنما تتبعون أهواءكم ، فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه يتمسب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان .

(٢) ألفه لابن الملك عضد الدولة فنا خسرو .

(١) أي الباقلي

(٣) أي يتدين .

وكذلك قال أبوالمعالى^(١) الجوينى فى كتابه الرسالة النظامية أختلف مسالك العلماء فى هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك فى آى الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردنا وتفويض معانيها إلى الرب - فقال الذى ترتضيه رأياً وندين الله به عقداً^(٢) اتباع سلف الأمة والدليل السمعى القاطع فى ذلك إجماع الأمة (وهو) حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها - وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء^(٣) الشريعة وكانوا لا يألون جهداً فى ضبط قواعد الملة والتواصى بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها - فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتمراً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرف عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزيه البارى عن صفات المحدثين ولا يخوض فى تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب تعالى فليجرب آية الاستواء أو الحجى - وقوله ﴿ لما خلقت بيدي - ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وقوله ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه . هـ .

(قلت)^(٤) وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض أئمة العلماء الذين نقلوا مذهب السلف فى هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله فى هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به ، وكان معاذ بن جبل يقول فى كلامه المشهور عنه الذى رواه

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى بن أبى محمد الجوينى إمام الحرمين

لجاورته فيها أربع سنوات ينشر العلم توفى سنة ٤٧٨ هـ .

(٢) عقداً بفتح العين أى اعتقاداً (٣) ن : المشتغلون بأعباء (٤) أى المصنف

أبو داود في سننه ، أقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً - أو قال فاجراً ،
وأحذروا زيفة الحكيم ، قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال إن على
الحق نورا أو كلاما هذا معناه .

فأما تقرير ذلك بالدليل وإمالة ما يعرض من الشبهة وتحقيق الأمر على وجه
يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد في هذه
المهامه ، فما تتبع له هذه الفتوى وقد كتبت شيئا من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض
ذلك بعض من مجالسنا وربما أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود
وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور
لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم
عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته .

ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل أن يقول
القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله (وهو معكم
أينما كنتم) وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل
وجهه^(١) » ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة
كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما
يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) فأخبر أنه فوق العرش يعلم
كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوطال
« والله فوق العرش وهو يعلم ما أتم عليه^(٢) » وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا طلقت
فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن

(١) قبل بكسر ففتح أى مقابله .

(٢) رواه الترمذى وحسنه كما في العلو للذهبي ص ١٧ .

يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه
 يقال : مازلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا أو يقال : هذا المتاع معي لمجامعتك
 وإن كان فوق رأسك ؛ فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هذه
 المعية تختلف أحكامها بحسب المراد فلما قال ﴿ يعلم ما يبلغ في الأرض وما يخرج
 منها ﴾ إلى قوله ﴿ وهو معكم ﴾ أينا كنتم ﴿ دل ظاهر الخطاب على أن حكم
 هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معنى
 قول السلف أنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته وكذلك في قوله
 (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) إلى قوله (هو معهم أينما كانوا)
 الآية ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار ﴿ لا تخزن إن الله
 معنا ﴾ كان هذا أيضاً حقا على ظاهره ودات الحال على أن حكم هذه المعية هنا
 معية الإطلاع والنصر والتأييد وكذلك قوله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون) وكذلك قوله لموسى وهارون (إنني معكما أسمع وأرى)
 هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد، وقد يدخل على صبي
 من يخيفه فيبكي وبشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول : لا تخف ، أنا معك
 أو أنا هنا ، أو أنا حاضر ، ونحو ذلك ينبيه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع
 المكروه ففرق بين معنى المعية ومقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها
 فاختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع
 يقتضى في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر (فالما) أن تختلف دلالاتها بحسب
 المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردنا - وإن امتاز كل موضع بخصوصية
 فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن يكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى
 يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فإنها وإن
 اشتركت في أصل الربوبية والتعبيد فلما قال (رب العالمين رب موسى وهارون)

كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره وكذلك قوله (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) و (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) فإن العبد - تارة يعنى به المعبود فيعم الخلق كما في قوله (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) وتارة يعنى به العابد فيخص ثم يختلفون ، فمن كان أعبد علماً وحلاً كانت عبوديته أكمل فكانت الإضافة في حقه أكمل مع أنها حقيقية في جميع المواضع .

ومثل هذه الألفاظ بسميها بعض للناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط ، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة إذ واضح اللفظ وإنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك - وإن كانت نوعاً مختصاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ ومن علم أن المية تضاف إلى كل نوع من أنواع الخلوقات كإضافة الربوبية مثلاً وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش وأن الله يوصف بالعلو والفقوية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالاحتية قط لا حقيقة ولا مجازاً علم القرآن على ما هو عليه من غير تحريف .

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب - إن نقله عن غيره ، وضال - إن اعتقده في ربه ، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن واحد ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله (إن الله في السماء) أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يحظر ببالنا وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين (أن الله في السماء) (وهو على العرش) واحد إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السفول ، وقد علم المسلمون أن (٦ - الرسالة الحوية)

كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض ، وأن الكرسي في العرش كحلقة
 ملقاة بأرض فلاة وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله
 وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه ؟ وقد قال سبحانه
 (ولأصابعكم في جذوع النخل) وقال ﴿ فسيروا في الأرض ﴾ بمعنى (على)
 ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني
 الحروف وأنها متواطئة في الغالب لامشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إذ قام
 أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه » الحديث ^(١) حق على
 ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هذا الوصف ثبت للمخلوقات
 فإن الإنسان لو أنه يناجى السماء أو يناجى الشمس والقمر لسكانت السماء والشمس
 والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك والله
 المثل الأعلى والسكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد الا يرى ربه خليفاً به » فقال له أبو رزين
 العقيلي كيف يارسل الله وهو واحد ونحن جميع فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سأنبئك
 يمثل ذلك في آلاء الله ، هذا القمر كلكم يراه خليفاً به وهو آية من آيات الله فالله أكبر » ^(٢)
 أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال « إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر »
 فشبّه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشابهاً للمرئي فالؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة
 وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلاً .

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يسكون إقراره
 بالكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد .

(١) رواه البخارى في صحيحه من حديث أنس في مواضع منها في باب حق البزاق الخ
 من كتاب الصلاة (٢) رواه أبو داود في باب الرؤية من كتاب شرح السنة في سننه من
 حديث أبي رزين العقيلي .

(واعلم) أن من المتأخرين من يقول : مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به من اعتقادات ظاهرها غير مراد وهذا اللفظ مجمل فان قوله : ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعمت المخلوقين وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى أنه مستقر في الحائط الذي يصلى إليه ، وأن الله معنا ظاهر أنه إلى جانبنا ونحو ذلك فلا شك أن هذا غير مراد ، ومن قال أن مذهب السلف إن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لکن الخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث فإن هذا الجمل ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار ، معذورا في هذا الإطلاق فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية . وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن ^(١) هذا هو الظاهر أن ^(٢) هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى ، وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله : الظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف وتعمد الكذب فما يمكن أحداً قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لانصا ولا ظاهراً : أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة وقد رأيت هذا المعنى ينتحل به بعض من يحكيه عن السلف ويقولون إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى أن التفرقة بين انفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى ولسكن السلف سكتوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لكأسيس الحاجة إلى ذلك ، ويقولون : الفرق أن هؤلاء قد يعينون

(٢،١) إن الأولى مفعول أعتقد وأن الثانية مفعول يبين .

المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف ، أما في كثير من الصفات فقطعاً مثل أن الله تعالى فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالإضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط ، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك .

والله يعلم أنى بمد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لانصاً ولا ظاهراً ولا بالقراءن على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر بل الذي رأيت أنه كثيراً من كلامهم يدل - إما نصاً وإما ظاهراً - على تقرير جنس هذه الصفات ولا أنقل عن كل واحد منهم لإثبات كل صفة بل الذي رأيت أنه يثبتون جنسها في الجملة وما رأيت أحداً منهم نفاها وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضاً كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : ﴿ من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً .

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا هذا جهنم معطل ؛ وهذا كثير جداً في كلامهم فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً كذباً منهم وافتراف حتى أن منهم من غلاورحى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك حتى قال ثمامة بن الأشرس^(١) من رؤساء الجهمية

(١) أبو معن التيمري البصري من كبار المعتزلة ومن رؤوس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم المأمون كل ذا نوادر وملح الخ ما ذكره الذهبي في ترجمته في الميزان قال ابن قتيبة كان ثمامة من رقة الدين وتنقيص الاسلام والاستهزاء به وإرسال لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله ويؤمن به الخ ما ذكره في لسان الميزان وحقق أن وفاته كانت سنة ثلاثة عشر يمتنى بعد المائتين من الهجرة .

ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى حيث قال (إن هي إلا فتنتك) وعيسى حيث قال (تلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) ومحمد حيث قال « ينزل ربنا » وحتى أن جل المعتزله تدخل عامة الأئمة مثل مالك وأصحابه والثوري وأصحابه والأوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه والثوري وأصحابه وإسحاق بن كراهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة.

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي^(١) جزأ سماء (تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة) ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه بزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها، فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة والمرسنة تسميهم شككا، والجهمية تسميهم مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوايت وغشاء وغثا إلى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجبونا وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفترياً قالوا فهذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة قالوا فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واعتقادا واقتصادا وقولا وعملا فكان المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة وأن اعتقدوا صدقها بقاء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في الحيا والمات باطنا وظاهراً وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الإمكان فلا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها كقول الرافض من لم

(١) ترجمة عثمان بن عيسى بن درباس الشافعي في ابن خلكان وعذرات الذهب توفي بعد الستائة فالذي هنا إما ولده إن لم يكن تحريفاً .

يبيض أبا بكر رضى الله عنه وعمر فقد أبغض علياً لأنه لا ولاية لعلى إلا بالبراءة
منهما ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبياً بناء عن هذه الملازمة الباطلة التي
أعتقدها صحيحة أو عائد فيها وهو الغالب .

وكقول القدرية من أعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب
من العباد الإختيار والقدرة وحملهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة
وكقول الجهى من قال أن الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور وأن جسم
مركب محدود وأنه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المعتزلة من قال أن الله علما وقدرة
فقد زعم أنه جسم مركب وأنه مشبه لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم
إلا بجوهر متحيز، وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد ومن قال ذلك فهو
مشبه لأن الأجسام متماثلة :

ومن حكى عن الناس المقالات رسماً بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم
التي هم مخالفون لهم فيها فهو وربه والله من ورائه بالمرصاد ولا يحق المكر السوء إلا بأهله
وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل
قسم عليه طائفة من أهل القبلة (قسمان) يقولون تجرى على ظواهرها (وقسمان)
يقولون هي على خلاف ظواهرها (وقسمان) يسكتون .

أما الأولون فقسمان (أحدهما) من يجريها على ظواهرها ويعمل ظواهرها من
جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف ، وإليه توجه
الرد بالحق (الثاني) من يجريها على ظواهرها اللائق بجلال الله كما يجرى ظاهر
اسم العليم والتقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظواهرها
اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث وإما
عرض قائم به ، فالعلم والقدرة والسكلام والمشية والرحمة والرضاء والغضب ونحو
ذلك في حق العبد أعراض ؛ والوجه واليد والعين في حقه أجسام فإذا كان الله

موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما وقدره وكلاما ومشية وإن لم يكن ذلك عرضا يجوز عليه مايجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويده صفات ليست أجساما مايجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقيين لا يخالفه وهو أمر واضح فإن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاة ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات فن قال: لا أعقل علما ويده إلا من جنس العلم واليد المهودتين قيل له: فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذات^(١) المخلوقين ومن المعلوم أن صفات كل موصوف مناسب ذاته وتلائم حقيقته فن لم يفهم من صفات الرب لذي ليس كمثل شئ إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم إذا قال لك الجهمى كيف أستوى أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا أو كيف يده ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو وكنه البارئ تعالى غير معلوم للبشر نقل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيةها وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى لك.

بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس فى الدنيا ما فى الجنة^(٢) إلا الأسماء، وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأه عين وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التى فى بنى آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وإمساك النص عن بيان كيفيةها أفلا يتعبر العاقل بها عن الكلام فى كيفية الله تعالى مع أنا نقطع

(١) ن : صفات .

(٢) ن : الآخرة .

بأن الروح في البدن وأنها تخرج منه وتخرج إلى السماء وأنها تسلم منه وقت النزاع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لانغالى في تجر يدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونوا قد أخطئوا في اللفظ وأنى لهم بذلك .

وأما القسمان اللذان يفغيان ظاهرها أعنى الذين يقولون : ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط وأن الله لا صفة له ثبوتيه بل صفاته إما سلبية وإما إصافية وإما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهى الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الأحوال دون الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم استولى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى إنتهاء الخلق إليه إلى غير ذلك من معانى المتكلمين وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون ظاهر المراد اللائق بجلال الله ويجوز بأن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات فهذه الأقسام الستة كلها لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها .

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه ويعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة

لا نحتمل النقيض وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان ومن لم يجعل الله له نوراً فإنه من نور ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلي من الليل قال « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وفي رواية لأبي داود أنه يكبر في صلاته ثم يقول ذلك ، فإذا أفقر العبد إلى الله ودعاه ، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى ثم إن كان قد خبر نهايات أقدم المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة ، لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد ، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ، أو دعوى إجماع لا حقيقة له ، أو النسك في المذهب والدليل بالالفاظ المشتركة ثم إن ذلك إذا ركب بالفاظ كثيرة طويلة غريبة عن لم يعرف اصطلاحهم أو همت الغر ما يوهمه السراب للعطشان ثم ازداد إيماننا وعلمنا بما جاء به الكتاب والسنة فإن ﴿الضد يظهر حسنه الضد﴾ وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تمظيما وبقدره أعرف فأما المتوسطون^(١) من المتكلمين فيخاف عليهم^(٢) ما لا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية ومن أنهاه فقد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله وأما المتوسط فيتوهم بما يلقاه من المقالات للأخوذة تقليداً لمعظمة هؤلاء وقد قال بعض الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف

(٢) ن : عليه .

(١) ن : المتوسط .

عقلكم ونصف متفقه ونصف متطرب ونصف نحوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن التكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك) يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وأن حجته ليست بيينة وإنما هي كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه . حيث قال : حكى في أهل الكلام أن يضر بوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ، ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر ؛ والخيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورققت عليهم . أوتوا ذكاء وما أوتوا ذكاء^(١) أعطوا فهموماً وما أعطوا علوماً ، وأعطوا سمما وأبصارا ، أفئدة فما أغنى عنهم سمهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحقهم ما كانوا به يستهزئون ومن كان عليا بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلوهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد إلا بعداً ففسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين .

(١) ذكاء الأولى بالذال المعجمة بمعنى توقد الفهم وذكاء الثانية بالزاي بمعنى الطهارة والبركة .

تمت بحمد الله تعالى « الفتوى الحوية » ويلها « الرسالة المدنية »
في تحقيق (المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى)

فهرست

الفتوى الحموية الكبرى

صحيفة

- ٢ خطبة الكتاب وفيها سبب تأليفه .
- ٣ تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته كل شيء من دينهم
- ٤ ما جاء عن القرون الثلاثة الفاضلة هو الحق .
- ٤ لا يمكن أن يكون الخلق أعلم بالله تعالى وصفاته من السلف .
- ٥ غلط بعض الناس على مذهب السلف أو ترجيح الخلف عليهم .
- ٦ اعتراف أذكفاء المتكلمين كالشهرستاني والرازي والجويني بحيرة المتكلمين وصحة مذهب السلف .
- ٨ الآيات والأحاديث في الإستواء وعلو الله على خلقه .
- ٨ شعر ابن رواحة » » » »
- ٩ شعر أمية بن أبي الصلت » » » »
- ٩ ليس في كلام الله ولا رسوله ولا أحد من السلف نفي الإستواء .
- ١٠ أخذ الصفات من الفلسفة والكلام كفر بارسالة .
- ١١ والتحاكم إلى الكتاب والسنة دون الكلام والفلسفة .
- ١٢ سبها المتكلمين مأخوذة عن طواغيت المشركين .
- ١٣ سند المتكلمين ينتهي إلى الجهم والجمد وليبد بن الأعصم اليهودي وترجمة جمد بن درهم .
- ١٤ أخذ الجمد ضلال عن صابئة حران .
- ١٤ أخذ الفارابي فلسفته عنهم — ترجمته .
- ١٤ الرازي وكتابه في السحر على مذهب السكلدانيين .

- ١٥ انتشار الفلسفة بتعريب كتب الروم واليونان في المائة الثانية والثالثة .
 ١٥ تشابه تأويلات المتكلمين كابن فورك والرازي والجبائي والقاضي عبد
 الجبار وأبي الحسين وابن عقيل والغزالي لتأويلات بشر المريسي .
 ١٥ تراجمهم بالاختصار .

- ٦١ كتاب بشر المريسي ورد الدارمي عليه .
 ١٧ أعيان الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف ونصروه
 ١٧ أبو ذر الهروي . أبو عمر الطلمنكي أبو عمر بن عبد البر
 ١٨ ابن خزيمة ، ابن سريح . البخاري وشيخه الجعفي ، عبد الله بن الامام
 أحمد . الأثرم . حنبل . المروزي أبو داود السجستاني . ابن أبي شبة .
 ابن أبي عاصم .

- ١٩ الدارمي . عبد العزيز المسكي . نعيم بن حماد . الأمام أحمد بن حنبل .
 اسحق بن راهوية . يحيى بن سعيد .

٢٠ يحيى بن يحيى النيسابوري . رأى الذهبي في علم الكلام ومنشئه

٢١ اجمال مذهب السلف . سلامته من اللوازم الباطلة

٢٢ لوازم التعطيل والتشبيه الباطلة

٢٣ اضطراب المتكلمين وتناقضهم

٢٤ دلالة العقل على صحة مذهب السلف

٢٤ الرسول أعلم الخلق بالله فالواجب اتباعه في ذلك

٢٥ المفحرفون عن السنة ثلاثة طوائف الصنف الأول أهل التخجيل

٢٦ الصنف الثاني أهل التأويل

٢٧ الصنف الثالث أهل التججيل

٢٨ معاني التأويل الثلاثة والمقبول منه والمردود

٢٩ تفسير القرآن على أربعة أوجه كما قال ابن عباس

- ٣٠ حكاية أقوال السلف بألفاظها في الاستواء
- ٣١ كلام الأوزاعي ومكحول والزهرى
- ٣١ وفيات الأئمة مالك والأوزاعي والثورى والزهرى ومكحول والحمايين
- ٣٢ ترجمة أبي القاسم الأزجى ، كلام مالك في الاستواء
- ٣٣ كلام الإمام ابن الماجشون قرين الامام مالك
- ٣٤ كلامه في العجز عن تكييف صفات الله عز وجل
- ٣٥ كلامه في إثبات رية الله وضحكه يده وعينيه سبحانه وتعالى
- ٣٦ كلامه رحمه الله في وصف الله بما وصفه والسكوت عما سكت
- ٣٧ الفقه الاكبر للإمام أبي حنيفة بيانه للسنة
- ٣٨ كلام أبي حنيفة وأصحابه في العلو والاستواء
- ٣٩ « يحيى بن معاذ وابن المدينى وأبى زرعة فى ذلك والترمذى - وفياتهم
- ٤٠ « محمد بن الحسن وأبى عبيد ، ترجمة أبى عبيد القاسم بن سلام
- ٤١ « ابن المبارك وسعيد بن عامر الضبعى وابن خزيمه
- ٤٢ « عباد بن العوام الواسطى وعبد الرحمن بن مهدي والاصمعى ،
وفياتهم . كلام مالك والشافعى
- ٤٣ استنباط القاضى أبى يوسف لبشر المريسى
- ٤٣ كلام ابن أبى زمنين المالكى الشهير - ترجمته
- ٤٣ كلامه فى الإيمان بالاستواء والسكرسى
- ٤٤ « « الإيمان بالحجب وبالنزول
- ٤٥ « « العلو والاستواء
- ٤٦ كلام الخطابى الشافعى فى الصفات - ترجمته
- ٤٧ الخطيب الشافعى المؤرخ فى الصفات - ترجمته
- ٤٧ « أبى نعيم الاصبهانى الشافعى والاسماعيلى الشافعى الجرجانى وأبى

اسماعيل الهروى والصابونى الشافعى

٤٨ كلام أبى نعيم أيضا ومعمار بن أحمد الأصبهانى الصوفى

٤٨ « الفضيل بن عياض الصوفى

٤٩ « عمرو بن عثمان الصوفى المسكى - ترجمته

٥١ « الحارث الخاسبى الواعظ فى الصفات ونفى التأويل

٥٣ كلامه فى العلو والاستواء ومبايسته خلقة

٥٥ « فى المعية والقرب

٥٦ كلام الشيخ ابن خفيف الشيرازى الشافعى الزاهد - ترجمته

٥٧ كلامه فى اتفاق السلف وانحراف الخلف عنهم

٥٨ « فى اثبات النفس والنور والحجب لله والحياة والسمع والبصر

والقدم لله تعالى

٦٠ كلامه فى أصول السنة والقرآن وإثبات النزول

٦٣ كلامه فى مذهب أهل السنة فى رؤية الله تعالى

٦٣ « « صفة الحبة والخلقة لله تعالى

٦٤ « « تكفير من زعم إسقاط التكليف بغير عذر

٦٥ « « الغناء والسمع والقصائد ، التسكيب ومنع السؤال

٦٦ كلام الشيخ عبد القادر الجيلانى . وفاته

٦٧ « الحافظ ابن عبد البر المالسكى فى الإيمان بالصفات

٦٨ « الحافظ البيهقى الشافعى فى إثبات اليمين ونحوها

٦٩ « القاضى أبى يعلى الحنبلى - ترجمته

٧٠ « الأشعرى شيخ الأشاعرة فى مذهب أهل السنة ، وفاته

٧١ كلامه فى الاستواء والمجىء واليدين

٧٢ « « اتباعه للأمام أحمد ومدحه له

- ٧٣ كلامه في العلو والنزول والاستواء
- ٧٥ » » بطلان تاويل الاستواء بالاستيلاء
- ٧٦ كلام الباقلاني في بطلان التأويل - وفاته
- ٧٧ من تعصب لفرقة في غير الحق فقيه شبه من اليهود
- ٧٨ كلام أبي المعالي الجويني في الصفات - ترجمته ووفاته
- ٧٩ ليس في كلام الله وكلام رسوله اختلاف وتناقض
- ٨٠ معنى المعية بحسب مواردها في الكتاب والسنة
- ٨١ المعية العامة والخاصة وكذلك الربوبية
- ٨١ ليس معنى كون الله في السماء أنها تحيط وتحويه
- ٨٢ علو الله على عرشه ومعيته خلقه لا تنافيان
- ٨٢ الرد على من زعم أن الظاهر من الآيات والأحاديث غير مراد
- ٨٣ غلط بعض الناس على السلف أنهم يؤولون
- ٨٤ غلاة الجهمية ينسبون الأنبياء صلوات الله عليهم إلى التشبيه والتجسيم
- ٨٤ كلام تمامة بن الأشرس في ذلك - ترجمته
- ٨٥ لمز المبتدعة لأهل السنة بلقب الحشوية والغناء الخ
- ٨٦ الطوائف الست في مسألة الصفات
- ٨٦ الأولى المشبهة الثانية من آمن بها مع التنزية
- ٨٧ الخمام الجهمي إذا سأل عن كيفية الصفات
- ٨٧ العلم بالأشياء غير تكيفها كالروح مثلا
- ٨٨ القسمان الآخران المؤولان .
- ٨٨ » الواقفان عن التأويل والإيمان بالظاهر
- ٨٩ أسباب ضلال من خالف ظاهر الكتاب والسنة
- ٩٠ من يضر العمران أربعة نفر
- ٩٠ حال المتكلمين والنظر إليهم بعين الشرع والقدر

الرسالة المدنية

في تحقيق

المجاز والحقيقة في صفات الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الاسلام : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام على جيرانه
سكان المدينة الطيبة من الأحياء والأموات ، من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين
ورحمة الله وبركاته إلى الشيخ الإمام العارف الناسك شمس الدين كتب الله في
قلبه الإيمان ، وأيده بروح منه وآتاه رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه علما ،
وجعله من أوليائه للمتقين ، وحزبه المفلحين ، وخاصته المصطفين ، برزقه اتباع
نبيه باطنا وظاهرا ، واللاحق به في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك ، والقادر عليه .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) نأني أحمد إليكم الله الذي لا إله
إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، وأسأله أن يصلي على
صفوته من خلقه ، وخيرته من بريته ، محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد
لله رب العالمين كثيرا ، كما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز جلالة ،
وقد وصل ما أرسلتم من السكتب الثلاثة ، ونسأل الله ونرجو منه أن يكون
ما قضاه من مرض ونحوه من مصائب الدنيا مبلغا لدرجات قصر عنها العمل
وسبق في أم السكتب أنها ستفال ، وتكون الخيرة فيما اختاره الله لعباده المؤمنين ،
وقد علمنا من حيث المسموم أن الله لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان
خيرا له . ونسأل الله أن يتولاكم بحسن رعايته ويحقق لكم مقام (إياك
نعبد وإياك نستعين) ولا حول ولا قوة إلا به ، مع أننا نرجو أن تكون رؤية
التقصير وشهادة التأخير عن نعمة الله على عبده المؤمن التي يستوجب بها
التقدم ويتم له بها النعمة ويكفي بها مؤونة شيطانه المزين له سوء عمله ، ومؤونة
نفسه التي تحب أن تحمد بما لم تفعل ، وتفرح بما أنت ، وقد قال سبحانه وتعالى
(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم
بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم راجعون)
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هو الرجل يصوم ويصلي ويقصد
ويحاف ألا يقبل منه » وفي أثر أظنه عن عمر أو ابن مسعود من قال أنه
مؤمن فهو كافر ومن قال أنه في الجنة فهو في النار وقال والله الذي لا إله

غيره ما من أحد على إيمان ويسلبه عند الموت إلا يسلبه (؟) وقال أبو العالية أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف على نفسه النفاق، وقال الصديق رضى الله عنه إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وذكّر أهل النار فذكرهم بأقبح أعمالهم فيقول الرجل أين أنا من هؤلاء يعنى وهو منهم - هذا الكلام أو قريباً منه - فليبرد القلب من حرارة هذه الشهادة أنها سبيل مهيم لعباد الله الذين أطبق شهداء الله في أرضهم كانوا من الله بالمكانة العالية مع أن الأزداد من هذه الشهادة هو النفع من الأمر الغالب ما لم يفض إلى تسخط للمقدور وإياس من روح الله أو فتور عن الرجاء والله تعالى يقول لا يكلمكم ولا يكلمكم إلى أحد غيره .

وأما ما ذكرت من الأسباب الأربعة التي لا بد فيها من صرف الكلام من حقيقته إلى مجازه فأنا أذكر ملخص الكلام الذي جرى بينى وبين بعض الناس في ذلك وهو ما حاكته لك وطلبتك وكان إن شاء الله لك وغيره به منفعة على ما في الحكاية من زيادة ونقص (قال لى بعض الناس) إذا أردنا أن نسلط طريق سبيل السلامة والسكوت وهى الطريقة التي عليها السلامة قلنا كما قال الشافعى رضى الله عنه: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا سلطنا طريق البحث والتحقيق فإن الحق مذهب من يقاويل آيات الصفات وأحاديث الصفات من المتكلمين (فقلت) له أما ما قال الشافعى فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده، ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه، فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة، وأما إذا بحث الإنسان وخص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذى يخالفون به أهل الحديث كله باطلاً، وتيقن أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهراً فاستعظم ذلك وقال: أنتج لأهل الحديث أن يتناظروا في هذا فتواعدنا يوماً فكان فيما تفاوضناه أن أمهات المسائل التي خالف فيها متأخرو المتكلمين ممن ينتحل مذهب الأشعرى لأهل الحديث

مسائل . وصف الله بالعلو على العرش ، ومسألة القرآن . ومسألة تأويل الصفات (فقلت) له نبدأ بالكلام على مسألة تأويل الصفات، فإنها الأم والباقي من المسائل فرع عليها ، وقلت له : مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق، وتضان عن تأويل يفضى إلى تعطيل ، وتكليف يفضى إلى تمثيل وقد أطلق غير واحد ممكن حكى إجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف أنها تجري على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية فنقول إن له يداً وسمعاً ولا نقول أن معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم (وقلت له) : وبعض الناس يقول مذهب السلف أن الظاهر غير مراد ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد وهذه العبارة خطأ إما لفظاً ومعنى ، أو لفظاً لا معنى لأن الظاهر قد صار مشتركاً بين شيئين أحدهما : أن يقال إن اليد جارحة مثل جوارح العباد، وظاهر الفضب غليان القلب لطلب الإنتقام ، وظاهر كوننا في السماء أن يكون مثل الماء في الظرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات الخلق ونعوت الحديث غير مراد من الآيات والأحاديث فقد صدق وأحسن إذ لا يختلف أهل السنة أن الله تعالى ليس كمنه شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة، لكن هذا القائل أخطأ حيث ظن أن هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والأحاديث وحيث حكى عن السلف ما لم يقوله، فإن ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الرضع وقد يكون بسياق الكلام، وليست هذه المعاني الحديثة المستحيلة على الله تعالى هي السابقة إلى عقل المؤمن بل اليد عندهم كالعالم والقدرة ولذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضاً تدل على

حدوثنا يتمتع أن يوصف الله تعالى بمثلها فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجسام محدثة لا يجوز أن يوصف الله تعالى بمثلها ، ثم لم يقل أحد من أهل السنة إذا قلنا إن الله علما وقدره وسما وبصراً أن ظاهره غير مراد ثم نفسه بصفاتنا فكذلك لا يجوز أن يقال أن ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال إن ظاهر شيء من أسمائه وصفاته غير مراد فقد أخطأ لأنه ما من إسم يسمى الله به إلا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يفضى إلى أن يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد (والمعنى الثاني) أن هذه الصفات إنما هي صفات الله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله نسبتها إلى ذاته المقدسة كنسبه صفات كل شيء إلى ذاته فيعلم أن العلم صفة ذاتية للموصوف وله خصائص ، وكذلك الوجه ولا يقال أنه مستغن عن هذه الصفات ، لأن هذه الصفات واجبة لذاته وإلا له المعبود سبحانه هو المستحق لجميع هذه الصفات وليس غرضنا الآن الكلام مع نفاة الصفات مطلقاً وإنما الكلام مع من يثبت بعض الصفات . وكذلك فعله ففلم أن الخلق هو ابداع الكائنات من العدم وإن كنا لا نكيف ذلك الفعل ولا يشبهه أفعالنا إذ نحن لا نفعل إلا الحاجة إلى الفعل والله غني حميد وكذلك الذات تعلم من حيث الجملة وإن كانت لا تماثل الذوات المخلوقة ولا يعلم ما هو إلا هو ولا يدرك لما كيفية فهذا هو الذي يظهر من إطلاق هذه الصفات وهو الذي يجب أن يحمل عليه فالمتوهم يعلم أحكام هذه الصفات وهو الذي أريد منه فيعلم أن الله تعالى على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، وأن المؤمنين ينظرون إلى وجه خالقهم في الجنة ويتلذذون بذلك لذة ينغمس في جانبها جميع الذات ونحو ذلك كما يعلم أن له ربا وخالقاً ومعبوداً ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب .

(قلت له) أفيجوز أن يقال أن الظاهر غير مراد بهذا التفسير فقال لا يمكن

هذا فقلت له من قال : أن الظاهر غير مراد بمعنى أن صفات الخلقين غير مرادة قلنا له أصبت في المعنى لكن أخطأت في اللفظ ، وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا إلى غرضهم وكان يمكنك أن تقول تمر كما جاءت على ظاهرها مع العلم بأن صفات الله تعالى ليست كصفات الخلقين وأنه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوده أو نقصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالفسير الثاني ، وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والأشعرية وغيرهم ، فقد أخطأ ثم أقرب هؤلاء الجهمية الأشعرية يقولون : أن له صفات سبع الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر وينفون ماسواها وغدا هم يقطعون بنفي ماسواها ، وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات مطلقا ويثبتون أحكامها وهي ترجع عند أكثرهم إلى أنه عليم قدير .

وأما كونه مريدا متكلمًا فعندهم ، أنها صفات حادثة أو إضافية أو عدمية وهم أقرب الناس إلى الصابئين الفلاسفة من الروم ومن سلك سبيلهم من العرب والفرس ، حيث زعموا أن الصفات كلها ترجع إلى سلب أو إضافة أو مركب من سلب وإضافة فهؤلاء كلهم ضلال مكذبون للرسول ، ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصرا ناقداً وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء علم قطعا أنهم يلحدون في أسمائه وآياته ، وأنهم كذبوا بالرسول والكتاب ، وبما أرسل به رسوله ولهذا كانوا يقولون البدع مشتقة من الكفر وآية إليه ، ويقولون أن المعتزلة مخانيث الجهمية والفلاسفة ، والأشعرية مخانيث المعتزلة وكان يحيى بن عمار يقول المعتزلة الجهمية الذكور والأشعرية الجهمية الأناث ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية . وأما من قال منهم بكتاب الأبانة الذي صنعه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لا سيما و (أنه) بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة ويفتح بذلك أبواب شر والكلام في هؤلاء الذين ينفون ظاهرها بهذا التفسير .

(قلت له) إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرائتهم فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه وتعالى وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ويجاز يخالف الحقيقة لا بد فيه من أربعة أشياء (أحدها) أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا بلسان العرب ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها فلا بد أن يكون ذلك للمعنى المجازي مما يراد به اللفظ وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى ناسخ له وإن لم يكن له أصل في اللغة (الثاني) أن يكون معه دليل يوجب صرفه اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز لم يحز حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء. ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجع للحمل على المجاز (الثالث) أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة أمتنع تركها. ثم إن كان هذا الدليل (نصا) لم يلتفت إلى تقيضه وإن كان ظاهرا فلا بد من الترجيح (الرابع) أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وصد حقيقته فلا بد أن يبين الأمة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العامي الذي أريد منهم فيه الأعتقاد والعلم دون عمل الجوارح. فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورا وهدي وبيانا للناس وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل للناس للناس ما نزل إليهم، ولتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ثم هذا الرسول الأُمِّي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات

ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما وأنصحهم للأمة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره ، أما بأن يكون عقليا ظاهرا مثل قوله ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها . وكذلك قوله (خالق كل شيء) يعلم المستمع أن المراد الخالق لا يدخل في هذا العموم ، أو سمعياً ظاهرا مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعضها الظواهر ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي لا يستنبطه إلا أفراد الناس سواء كان سمعياً أو عقليا ، لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة وخطب به الخلق كلهم — وفيهم الذكي والبليد والفقير وغير الفقيه وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويمتقدوا موجهه ، ثم أوجب أن لا يقصدوا بهذا الخطاب شيئا من ظاهره لأن هناك دليلا خفيا يستنبطه أفراد من الناس ينزل على أنه لم يرد ظاهره كان تدليسا وتليسا وكان نقيض البيان وضد الهدى وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان . فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد ؟ كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة ؟ !

فسلم لي ذلك الرجل هذه المقامات .

(قالت) : ونحن نتكلم على صفة من الصفات ونجعل الكلام فيها انموذجا يحتذى عليه ، ونعبر بصفة اليد وقد قال تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى لأبليس (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (تبارك لدى بيده الملك) وقال تعالى (بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) وقال تعالى (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما)

وقد تواتر في السنن مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فالمفهوم من هذا الكلام أن الله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله ، وأنه سبحانه وتعالى خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس ، وأنه سبحانه وتعالى يقبض الأرض ويطوى السموات بيده اليمنى وأن يديه مبسوطتان ، ومعنى بسطهما بذلك الجود وسعة العطاء لما كان الجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدّها وتركه يكون ضماً لليد إلى العنق صار من الحقائق العرفية إذا قيل هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقة ، وكان ظاهره الجود والبخل كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ويقولون فلان جعد البنان وسبط البنان .

(قلت) له فالقائل إن زعم أنه ليس له يد من جنس أيده المخلوقين وأن يده ليست جارحة فهذا حق وإن زعم أنه ليس له صفات زائدة على الصفات السبع فهو مبطل فيحتاج إلى تلك المقامات الأربعة . (أما الأول) فيقول إن اليد بمعنى النعمة والعطية سمى الشيء باسم عببه كما يسمى المطر والنبات سماء . ومنه قولهم : فلان أباد عندي وقول أبي طالب لما فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

يارب رد راعي محمدأ رده على واصطنع عندي يدا

وقول عروة بن مسعود لأبي بكر يوم الحديبية : لولا يدك عندي لم أجزك بها لأجبتك . وقد تكون اليد بمعنى القدرة تسمية للشيء باسم مسببه لأن القدرة هي تحرك اليد يقولون فلان له يد في كذا وكذا . ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ويدي الأخرى فارغة يريد نصف قدرتي ضبط العراق . ومنه قوله (بيدي عقدة النكاح) والنكاح كلام يقال وإنما معناه أنه يقدر عليه وقد يجعلون إضافة الفعل إليها إضافة الفعل إلى الشخص نفسه لأن غالب الأفعال لما كانت باليد جعل ذكر اليد إشارة إلى أنه فعل بنفسه قال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) إلى قوله (ذلك بما قدمت

أيديكم) لأن بعض ما قدموه كلام تكلموا به وكذلك قوله (ولو ترى إذ أتوا في
الذين كفروا الملائكة يضرعون وجوههم وأدبارهم) إلى قوله ذلك بما قدمت
أيديكم) والعرب تقول يدك أوكتا وفوك نفع نوبينا لكل من جر على نفسه
جريرة لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وضمه .

(قلت له) ونحن لا ننكر لغة العرب التي نزل بها القرآن في هذا كله والمتأولون
للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه والحدوا في أسمائه وآياته تأولوا قوله
(بل يدها مبسوطتان) وقونه (لما خلقت يدي) على هذا كله فقالوا : بقدرته
وقالوا اللفظ كناية عن نفس الجود من غير أن يكون هناك يد حقيقية بل هذه
اللفظة قد صارت حقيقة في الطاء والجود وقونه (لما خلقت يدي) أي خلقاته
أنا وإن لم يكن هناك يد حقيقة .

(قلت له) فهذه تأويلاتهم؟ قال نعم .

(قلت له) فننظر فيما قدمناه (المقام الأول) أن لفظ اليدين بصيغة التثنية
لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع
كقوله (إن الإنسان لني خسر) ولفظ الجمع في الواحد كقوله (الذين قال
لهم الناس) ولفظ الجمع في الاثنين كقوله (صغت قلوبكما) أما استعمال اللفظ
الواحد في الاثنين والاثنين في الواحد فلا أصل له . لأن هذه الألفاظ عدد
وهي نصوص في معناها لا تجوز فيها فلا يجوز أن يقول عندي رجل ويعني رجلين
ولا عندي رجلان وهو يعني به الجنس . لأن الاسم الواحد يدل على الجنس
والجنس في الواحد شائع وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس ، والجنس يحصل
بحصول الواحد فقوله (لما خلقت يدي) لا يجوز أن يريد به القدرة لأن القدرة
صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالأثنين عن الواحد . ولا يجوز أن يراد به النعمة
لأن نعم الله لا تحصى فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية .
ولا يجوز أن يكون لما خلقت أنا لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد

فتكون إضافة نزيد إضافة له إلى الفعل كقوله (بما قدمت يداك) وقدمت أيديكم) ومنه قوله (مما عملت أيدينا أنعاما) أما إذا أضافوا الفعل إلى الفعل وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله (لما خلقت بيدي) فإنه نص في أنه فعل الفعل بيده . ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقول فعلت هذا بيدي أو فلان فعل بيده إلا وقد يكون فعله بيده حقيقة ولا يجوز أن يكون لا يده له أو يكون له يد والمعل وقع بغيرها وهذا الفرق المحقق يبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، ويبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة قال لى : فقد أرقعوا الاثنين موقع الواحد فى قوله (القيافى جهنم) وإنما هو خطاب للواحد .

(قلت له) : هذا ممنوع بل توله (ألقينا) قد قيل تثنية الفاعل كتثنية الفعل والمعنى الذى الق ، وقيل إنه خطاب للسائق والشهيد ، ومن قال أنه خطاب للواحد قال إن الإنسان يكون معه اثنان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، فيقول خليلي فإنه بوقع هذا الخطاب وإن لم يكونا موجودين كأنه يخاطب موجودين فقوله (القيا) عند هذا القائل إنما هو خطاب مع اثنين يقدر وجودهما فلا حجة فيه البتة .

(قلت له) المقام الثانى أن يقال هب أنه يجوز أن يعنى باليد حقيقة اليد وأن يعنى بها القدرة والنعمة ويحمل ذكرها كناية عن الفعل لكن ما اللوجب لصفته عن الحقيقة ؟ فإن قلت لأن اليد هى الجارحة وذلك ممتنع على الله سبحانه (قلت لك) هذا ومحوه بوجب امتناع وصفه بأن له يدا من جنس أيدي الخلقين هذا لا ريب فيه ، لكن لا يحمله أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات .

قال ليس فى العقل والسمع ما يحيل هذا .

(قلت) فإذا كان ممكنا وهو حقيقة اللفظ فلم ينصرف عنه إلى مجازه وكل

ما يذكره الخصم من دليل يدل على إمتناع وصفه بما يسمى به وصحت الدلالة فيسلم له أن المعنى الذى يستحقه المخلوق ينتف عنه وإنما حقيقة اللفظ وظاهره يد يستحقها الخالق كالعالم والقدرة بل كالذات والوجود .

(المقام الثالث) قلت له بلغك أن فى كتاب الله أو فى سنة رسوله أو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهره والظاهر غير مراد وهل فى كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة أو دلالة خفية فإن أقصى ما يذكره المتكلم (قل هو الله أحد) وقوله (ليس كمثل شئ) وقوله (هل تعلم له سمياً) وهؤلاء الآيات إنما يدلن على انتفاء التجسيم والتشبيه . أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس فى الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه وكذلك هل فى العقل ما يدل دلالة ظاهرة أن البارى لا يده البتة تليق بجلاله ولا تناسب المحدثات وهل فيه ما يدل على ذلك ولو بوجه خفى . فإذا لم يكن فى السمع ولا فى العقل ما يبنى حقيقة اليد البتة وإن فرض ما ينافيها فإنما هو فى الوجوه الخفية عند من يدعيه وإلا فى الحقيقة إنما هو شبهة فاسدة . فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد ، وإن الله خلق بيده وأن يديه مبسوطتان وإن الملك بيده وفى الحديث ما لا يحصى ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأولى الأمر لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقة ولا ظاهره حتى ينشأ جهنم بن صفوان بعد اقراض عصر الصحابة فيبين للناس ما نزل اليهم على نبيهم ويتبعه عليه بشر بن غياث ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق ؟ وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كل شئ الخراءة ويقول « ما تركت من شئ يقر بكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به » « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » ثم يترك الكتاب المنزل عليه ، وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم إن ظاهره تشبيهه وتجسيمه وإن اعتقاد ظاهره ضلال وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه ، وكيف يجوز للسلف أن يقولوا

أسروها كما جاءت مع أن معناها المجازي هو المراد وهو شيء يفهمه الأعراب حتى يكون أبناء فارس والروم أعلم بلفظة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار؟

(المقام الرابع) قلت له أنا أذكر لك من الأدلة الكلية القاطعة الظاهرة ما يبين لك أن الله يدين حقيقة فمن ذلك تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة وامتناعهم عن التكبر عليه فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته أو مجرد إضافة خلقه إليه لشاركه في ذلك إبليس وجميع المخلوقات قال لي فقد يضاف الشيء إلى الله على سبيل التشريف كقوله (ناقة لله وبيت الله) .

(قلت له) : لانكون الإضافة تشريفاً حتى يكون في المضاف معنى أفرده عن غيره ، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البينات ما امتازا به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة والأمر هنا كذلك ، إضافة خلق آدم إليه أنه خلقه بيده توجب أن يكون خلقه بيده وأنه قد فعله بيده وخلق هؤلاء بقوله (كن فيكون) كما جاءت به الآثار . ومن ذلك أنهم إذا قالوا : بيده الملك ، أو عملته يداك فهما شيان أحدهما إثبات اليد والثاني إضافة الملك والعمل إليهما . والثاني يقع فيه التجوز كثيرا (أما الأول) فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة ولا يقولون يد الهواء ولا يد الماء . فهب أن قوله (بيده الملك) قد علم منه أن المراد بقدرته لكن لا يجوز ذلك إلا لمن له يد حقيقة والفرق بين قوله تعالى (لما خلقت بيدي) وقوله (مما عملت أيدينا) من وجهين : (أحدهما) أنه هنا أضاف الفعل إليه وبين أنه خلقه بيده وهذا أضاف الفعل إلى الأيدي (الثاني) أن من لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع الثنية إذا أمرن اللبس كقوله تعالى (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) وقوله (فقد صغت قلوبكما) أي قلبا كما فكذلك قوله (مما عملت أيدينا) .

وأما السنة فكثيرة جدا مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « المقسطون عند

الله على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « يمين الله ملائ لا يغيثها نفقة سحاء الليل والنهار . أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يفيض ما في يمينه . والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامة » رواه مسلم في صحيحه والبخارى فيما أظن وفي صحيحه أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته بيديه في السفر » وفي الصحيح أيضاً عن ابن عمر يحكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « يأخذ الرب عز وجل سمواته وأرضه بيديه - وجعل يقبض يديه ويبسطها - ويقول أنا الرحمن حتى نظرت إلى المنبر يتحرك أسفل منه حتى إنى أقول أساقط برسول الله » وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال « يقول أنا الله الجبار » وذكره وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يقبض الله الأرض ويبطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » وما يوافق هذا من حديث الخبر ، وفي حديث صحيح « إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان إختراهما شئت قال إخترت يمين ربى وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته » وفي الصحيح « إن الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق أن رحمتى غلبت غضبي » وفي الصحيح أنه « لما نجا آدم وموسى قال آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ونفخ فيك من روحه » وفي حديث آخر أنه قال سبحانه « وعزنى وجلالى لا أجدل ذرية من خلقت بيدي لمن قلت له كن فسكان » وفي حديث آخر فى السنن « لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه استخرج منه ذريته فقال هؤلاء

للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون : ثم مسح ظهره بيده الأخرى فقال خلقت هؤلاء
لنار وبعمل أهل النار يعملون » .

فذكرت له هذه الأحاديث وغيرها ثم قلت له هل تقبل هذه الأحاديث تأويلاً
أو هي نصوص قاطعة ؟ وهذه أحاديث تلقمها الأمة بالتقبول والتصديق رفقاً
قطراً من بحر غزير . فظاهر الرجل التوبة وتبين له الحق .

فهذا الذي أشرت إليه - أحسن الله إليك - أن أكتبه وهذا باب واسع ومن
لم يعمل الله له نوراً فماله له من نور . ومن يهدي الله فهو المبتدى ومن يضل
فلن تجد له ولياً مرشداً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم .

وسئل رحمه الله

عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل « وما تردت
عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره
مساءته » ما معنى تردد الله ؟ .

فأجاب : هذا حديث شريف رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه وهو أشرف حديث روى في صفة الأولياء . وقد رد هذا الكلام طائفة
وقالوا أن الله لا يوصف بالتردد ، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله
عالم بالعواقب وربما قال بعضهم أن الله يعامله معاملة المتردد .

والتحقيق إن كلام رسول الله حق ، وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح
لأمتة منه . لا أفصح ولا أحسن بيانا منه ، فإذا كان كذلك كان المتحذلق
والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوأهم أدباً . بل يجب تأديبه وتعزيزه
ويجب أن يسان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الظنون الباطلة

والإعتقادات الفاسدة . والمتردد منا - وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور - لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فإن الواحد منا قد يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد . فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفاسد لا لجهله به كالشيء الواحد الذي يجب من وجه ويكره من وجه كما قيل :

الشيب كره وأكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب

وهذا مثل إرادة المريض للدواء الكريه بل جميع ما يريد العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب . وفي الصحيح « حفت الجنة بالمسكاره وحفت النار بالشهوات » وقال ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في الحديث فإنه قال « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له يتقرب إليه أولا بالنوافل وهو يجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلمها ، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد إتفاق الإرادة وبمحيط يجب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكره محبوبه والرب يكره أن يسمى عبده ومحبوبه ، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه . والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت فكل ما قضى به فهو يريد ولا بد منه . فالرب يريد لموته ، لما سبق به قضاءه . وهو مع ذلك كارهه لمساءة عبده ، وهي المساءة التي تحصل له بالموت . فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروهه له من وجه . وهذا حقيقة التردد . وهو أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه وإن كان لا بد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده وليس بإرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كما إرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد . انتهى كلامه رحمه الله .